كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر
ISBN: 978-9922-726-04-5

مباحث تأريخية - لغوية - اجتماعية

تأليف
الدكتور المتمرس علي زوين

الطبعة الاولى
٢٠٢٤ م

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

كلية الكوت الجامعة

٠٨١

ز ٩٩٩ زوين ، علي .

مباحث تاريخية – لغوية – اجتماعية / علي زوين

. – ط١ .– بغداد : مركز البحوث والدراسات والنشر

– كلية الكوت الجامعة ، ٢٠٢٤

١٦٤ ص ؛ ٢٤ سم .

١ – مجاميع عامة عربية – أ – العنوان.

رقم الايداع

٤١٠٧ / ٢٠٢٤

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٤١٠٧ لسنة ٢٠٢٤م

ISBN: 978-9922-726-04-5

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في كلية الكوت الجامعة
غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب
والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

Al-Kut University College Printing Press

مطبعة كلية الكوت الجامعة

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
المبحث الأول : المنهج التأريخي ومقدمات تدوين التأريخ الاسلامي	٧
المبحث الثاني : (الدرهم والدينار) في الجاهلية والإسلام	٢٣
المبحث الثالث : (الحِسْبة والمُحْتسِب) في تراثنا العربي والإسلامي	٣٩
المبحث الرابع : الصلات الحضارية بين اللغتين العربية والفارسية	٦٣
المبحث الخامس : الأسس التأريخية في البحث اللغوي	٨٧
المبحث السادس : معالم من علم اللغة الاجتماعي في تراثنا اللغوي	١١١

مقدمة :

الجمع بين مسائل تأريخية ذات صفة منهجية ومسائل أخرى لغوية ذات الصفة نفسها في كتاب أمر يسهل على المتتبع لعلوّ شأن المنهج في أي علم من العلوم أو معرفة من المعارف على مفردات ذلك العلم وتلك المعرفة.

وثمة مسائل أخرى يمكن حشرها في هذا المضمار من قبيل الأمثلة والشواهد والمآثر ، وتأكيد أهمية البحث في التأريخ الاجتماعي والتأريخ اللغوي الاجتماعي للوشائج التي تربطهما، والدلائل التي تسعفهما.

ولذلك ارتأيت أن أجمع في هذا الكتاب المختصر بين ستة من المباحث تتفرع منها مسائل متناظرات أو مختلفات يمكن الربط بينها من خلال المنظور العام لقضيتين جوهريتين هما : التأريخ الاجتماعي ، والتأريخ اللغوي الاجتماعي فضلاً عن التأريخ العام.

ومن المفيد جداً الإفادة من تراثنا في هذا الميدان على سبيل الشواهد والاستشهاد، على أن بعض ما قيل في التفافات الأخرى له مندوحة ومتسع في ثقافتنا وتراثنا.

والله – تعالى– أسأل أن يوفقني للصواب، ويجنبني الخلل والاضطراب ، وهو المستعان يكفي من كل شيء ولا يكفي منه شيء.

المبحث الأول

المنهج التأريخي

ومقدمات تدوين التأريخ الإسلامي

التعريف بالتأريخ والمنهج التأريخي

التأريخ من المعارف المهمة في معرفة ما حصل من الحوادث وقيام الدول والحضارات وسقوطها واندثارها وما خلفته من قيم وظواهر وما عمله الإنسان في القرون الخالية من بنيان وعمران ونظم وإدارة وعلوم ومعارف وخبرات طويلة استمدها من الوقائع والحوادث وتجاربه وما استحدث من أفكار وآراء ومذاهب ومعتقدات وما تشابهت أو تنافرت فيه الأمم من العادات والتقاليد ... الخ .

ويستمد المؤرخ ذلك كله من خلال وصف الحوادث الماضية وتحليلها وتركيبها وتفسيرها والعوامل التي أدت إليها وما يمكن أن يستنتج من ظواهر عامة تكون معايير لفهم الأحداث والظواهر لتستفيد منها الشعوب في قابل حياتهم وتكون لهم عبرة وتجربة ومعرفة وعملاً بما هو مفيد ونبذاً لما هو غير مفيد ؛ فالتأريخ بهذا المفهوم العام الشامل هو اكتشاف لعناصر الرقي والانحطاط للشعوب والحضارات.

ولم يكن مفهوم كلمة التاريخ او مدلولها على هذا النحو عند العرب أو الأوربيين ؛ فقد تدرّج المدلول من معنى التوقيت الزمني الى سرد الحوادث الى التعليل والتفسير واستنتاج الظواهر وما يمكن ان نسميه – مجازاً – بالقوانين العامة لهذه الظواهر في فهم الحوادث .

ومن الملاحظ على معنى كلمة (التأريخ) في العربية أنها دلت على معانٍ مختلفة عبر العصور ؛ فقد كانت تعني في صدر الاسلام (التقويم والتوقيت) ، ودلت بعد فترة من الزمن على ((تسجيل الأحدث على أساس الزمن)) ، ثم اخذت تطلق بعد ذلك على ((عملية التدوين التأريخي وحفظ الأخبار بشكل مسلسل)) ، ثم أطلقت الكلمة على ((العلم بأحداث التأريخ وأخباره وأخبار الرجال والكتب التي تبحث في ذلك)) (انظر: عبد الواحد ذنون طه : أصول البحث التأريخي ص٤) .

ونجد في بعض اللغات الأوربية أن كلمة التأريخ تستعمل ((للتعبير عن الماضي البشري وللجهد البشري المبذول لمعرفة ذلك الماضي ورواية أخباره ، أو العلم المعني بهذا الموضـــوع)) . ودلت كلمة (History) في اللغة الإنكليزية من حيث مفهومها العام الشـائع على ماضـي الانسـانية (أصول البحث التأريخي، ص٤).

وتفاوت المدلول الاصطلاحي للكلمة بين العرب والأوربيين .

وفيما يأتي أمثلة لبعض التعريفات الاصطلاحية بالتأريخ :

١- هيرودوتس (Herodotus) (عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ويعد أشـــهر مؤرخ إغريقي) : التأريخ هو ((التحري والتحقيق في أحداث الماضي وتسجيلها)).

٢- محيي الدين محمد بن سـليمان الكافيجي (ت ٨٧٩هـــــ) في كتابه (المختصـر في علم التأريخ) قال : ((... وأما علم التأريخ فهو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته)) .

٣- ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في مقدمته : قال : ((إذ هو "أي التأريخ" لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والســـوابق من القرون الأول ... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق)) .

٤- محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـــــ) في كتابه المعنون بـ(الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التأريخ) : قال : ((... وأما موضوعه "أي التأريخ" فالإنسان والزمان . ومسائله أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان والزمان)) .

٥- تشارلز فيرث (أحد مؤرخي الإنكليز في القرن التاسع عشر) : قال: ((التأريخ شـــيء لا يســـهل تعريفه ولكن يبدو لي أنه ســـجل لحياة المجتمعات الإنسانية وللتغيرات التي اجتازتها تلك المجتمعات وللأفكار التي تحكمت في توجيه نشـاط تلك المجتمعات وللظروف المادية التي ساعدت على تطورها)).

ونستنتج من التعريفات المذكورة آنفاً عناصر مهمة أغلبها مشترك من حيث المفهوم الاصطلاحي للتأريخ نشير الى أهمها :

١. البحث في الأحداث الماضية وهو المعيار الزمني للتأريخ .
٢. تسجيل الأحداث وتدوينها .
٣. البحث عن الحقائق .
٤. تفسير الحقائق وربطها .
٥. تعليل ما وقع من الأحداث .
٦. الإنسان هو الموضوع المركزي للتأريخ ، ولذلك قيل في بعض التعريفات بالتأريخ إنه ((ما يحدث للإنسان وما يهم الإنسان ... يهدف الى معرفة الماضي بالنسبة الى البشر أفراداً وجماعات)) (عبد اللطيف محمد العبد : مناهج البحث العلمي ، ص١٣١.) .
٧. بحث في التغيرات التي حصلت للمجتمعات الإنسانية والأفكار التي وجهت نشاط تلك المجتمعات والظروف المادية التي ساعدت على تطورها ؛ فالتأريخ بهذه المعاني بحث في الجماعة والأفكار التي تحملها والظروف المادية للحدث .

ونشأت في الدراسات التأريخية الحديثة بعد أن أصبح التأريخ علماً من العلوم مناهج تتناول البحث التأريخي من حيث المصادر والترتيب والتحليل والوصف والتعليل والاستنتاج وعرف ما يطلق عليه علم أصول التأريخ (Historiography) ويعنى ((بتحديد معنى التاريخ وتطور موضوعه والأسلوب المقتضي لتحري الحقائق وتدوينها والأسس العامة في التفسير والتعليل)) .

وتتألف العناصر الأساسية للمنهج التأريخي من الاستقراء للحوادث ثم تحليلها ثم تركيبها ثم الكشف عن العلاقات السببية للوصول بعد ذلك كله الى الظواهر التاريخية والمعايير العامة لها :

عناصر المنهج التأريخي = الاستقراء للحوادث ← تحليل ← تركيب ← الكشف عن العلاقات السببية ← الوصول الى الظواهر التأريخية والمعايير العامة لهذه الظواهر .وينبغي للمؤرخ وفاقاً لهذا المنهج أن يتبع الخطوات الآتية :

١. التثبت من الواقعة التأريخية بالوثيقة الدالة عليها أي بالأثر المادي .
٢. اعتماد الوثائق التأريخية ، وهي على قسمين :

أ. وثائق غير إرادية ، وهي ((التي لم يتحكم أي مقصد في إنتاجها)) مثل الحفريات .

ب. وثائق إرادية ، وهي ((المحفوظة عمداً لإرشاد الأجيال، وتوجه الى الأجيال التي تأتي فيما بعد)) كالصور والنقود والنياشين .

٣. اعتماد النقد التأريخي من صحة الوثائق التأريخية وصحة الواقعة وصحة وثيقة ما بالمقارنة بوثيقة أخرى والتفسير النفسي ((بمعنى التحليل الذي تنتقل به الوثيقة الى مقاصد الكاتب ، ومن الصورة التي كونها لنفسه من الأحداث ،ومن هذه الصورة الى الأحداث نفسها)) (مناهج البحث العلمي ، ص١٣٤).

التحليل النقدي والنفسي = تحليل الوثيقة ← قصد الكاتب ← الصورة التي كوّنها لنفسه من الأحداث ← صورة الأحداث نفسها .

٤. التركيب التأريخي : وهو دمج الوقائع في مجموع حضاري شامل ودرجها في السياق الزمني .

٥. ينبغي أن تنتهي خطوات المنهج التأريخي الى أن يستعين التأريخ بالفهم أي معرفة النشاط الإنساني وسبر أغواره على أنواعه المختلفة لإدراك الطريقة التي عاش بها الإنسان في الماضي.

وأما ما يختص بالتأريخ الإسلامي فهو يعتمد على جملة من المصادر ، أهمها ما يأتي (عبد المنعم ماجد : مقدمة لدراسة التأريخ الإسلامي : ص٢١ الى ص٢٤):

١. الوثائق : وهي ((الأوراق الرسمية في الدول الإسلامية ، مثل : الرسائل ومنشورات الإقطاع وسجلات العطاء والأوامر القضائية والمالية والفتاوي والمعاهدات وتقاليد الولاة والموظفين)) .

٢. الآثار : وهي آثار العرب والساميين في بلاد العراق والشام وآثار العرب الجنوبيين في معين وسبأ من مدن اليمن وآثار العرب في مكة ، وأهمها الكعبة المشرفة ، وآثار العرب والمسلمين بعد الإسلام كالمساجد ودور الإمارة والمشاهد والقلاع والحصون والقصور ... الخ .

٣. النقوش : وهي ((صور حروف الكلمات وأوضاعها وكيفية تركيبها)) كالنقوش التي عثر عليها في الجزيرة العربية شمالاً

وجنوباً ، والنقوش على الأحجار والقبور المكتوبة بالخط اللحياني والثمودي ، والنقوش على لوحات البرنز وجدران المعابد وأعمدة الرخام مكتوبة بالخط السبئي والحميري (الخط المسند) ، والنقوش المكتوبة بالخطوط العربية بعد الإسلام في الأمصار الإسلامية المختلفة كالنقوش على الأحجار وشواهد القبور والمساجد وما نقش على الخشب والزجاج والخزف والمعادن والأحجار.

٤. المسكوكات او العملة الرسمية في الدول الإسلامية ، ولها فوائد في ضبط الأسماء والتواريخ وفهم بعض الأمور المتعلقة بالتطور الاقتصادي والسياسي.

٥. الكتب والرسائل والمصنفات على اختلاف موضوعاتها العلمية والأدبية.

الأخبار والأخباريون

بدأت المدونات ذات الصفة التأريخية في الحضارة الإسلامية منذ عهد مبكر، وكانت مدونات تتناول تواريخ خاصة تختلط فيها الأحداث بالقصص والروايات والأشعار والكلمات والخطب وتتخذ منحى السرد وتتضارب فيها الروايات.

ونشأت في القرن الثاني الهجري طبقة من المؤرخين سميت بـ(الأخباريين) نسبة الى (الأخبار) ، واستعملت هاتان الكلمتان بمعنى الذي

يعنى بالتواريخ والأخبار التي هي الأحداث الماضية ، وقد يفهم من كلمة (أخباريّ) معنى الذي يهتم بالقصص والحكايات يضاف اليها عنايته بالتأريخ وأيام العرب وغيرها من الأمم الخوالي . قال ابن الأثير في كتابه (اللباب في تهذيب الأنساب ١/٣٤ اوفسيت مكتبة المثنى – بغداد د.ت) : ((الأخباريُّ ... هذه النسبة الى الأخبار ويقال لمن يحكي الحكايات والقصص والنوادر : الأخباريّ) .

وقد اهتمّ الأخباريون في القرن الثاني الهجري بالأحداث والوقائع الجزئية المتعلقة بتواريخ العرب قبل الاسلام وبعده (كأيام العرب) أي حروبها في الجاهلية والحروب والغزوات والفتوحات التي حصلت بعد الاسلام ولاسيما في الصدر الإسلامي والقرن الأول الهجري ؛ فسجلوا ذلك كله في رسائل وكتب تزدحم فيها الروايات المتعددة للخبر الواحد وغالباً ما كانوا يسندون الرواية كما فعل أصحاب الحديث لأن من الأخباريين من كان محدّثاً أو مهتماً برواية الحديث ، ولكن الروايات المذكورة في كتبهم ينقصها التحري والتثبت إلا إذا كان الأخباري مشهوداً له بالثقة أو كان قد أدرك الحدث أو نقله عن ثقة . ونجد فيما وصل إلينا من كتبهم أنهم قد يذكرون للحدث الواحد أكثر من رواية وقد تمتزج الأحداث بالقصص والحكايات والأساطير وقد ينقلون عن أهل الكتاب ولاسيما اليهود ما يتعلق

بالأمم الغابرة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ؛ فدخلت بذلك طائفة من الإسرائيليات التي تحتاج الى دراسة للتحقق من صحتها .

وفيما يأتي أسماء بعض هذه الكتب ، وأغلبها ضاع ولم يصل إلينا: فتوح الشام وفتوح العراق ووقعة الجمل ووقعة صفين ووقعة أهل النهروان والخوارج ووقعة الحرّة ووقعة عين الوردة ووقعة مرج راهط ومقتل علي (ع) ومقتل حجر بن عدي (رض) ومقتل الحسين (ع) وموت معاوية وولاية يزيد وحصار ابن الزبير وكتاب المختار بن أبي عبيد وكتاب مصعب بن الزبير وولايته العراق وكتاب مقتل عبد الله بن الزبير وكتاب الردّة وكتاب حفر بئر زمزم وذكر ملوك حمير وكتاب طسم وجديس وكتاب صفة النبي (ص) وكتاب فضائل الأنصار..الخ.

وأشهر الأخباريين في هذا القرن : أبو مخنف لوط بن يحيى وأبو الفضل نصر بن مزاحم وإسحاق بن بشر وأبو عبد الله بن منبه الصنعاني وأبو البختري وهب بن وهب القاضي وأبو النضر محمد بن السائب الكلبي وله عناية بأخبار العرب وأيامها وأنسابها ، وعوانة بن الحكم ومحمد بن اسحاق وهو من أوائل الذين كتبوا في السير والمغازي وله كتاب السيرة النبوية أخذها عنه عبد الملك بن هشام ، ومنهم أبو معشر نجيح المدني وأبو اليقظان سحيم بن حفص .

وأشهر الأخباريين وأكثرهم تأليفاً هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦هـ إذ صنف في أخبار العرب في الجاهلية وأيامها وأحلافها ومآثرها وبيوتاتها وقبائلها وألقابها وأديانها ، وصنف في أخبار الاسلام والسيرة النبوية والمغازي وسير الخلفاء.

ويعد ابن الكلبي من أوائل الذين كتبوا في البلدان وربما كان له اطلاع على تأريخ الحضارة العربية الجنوبية وأسفار اليهود واستفاد من معرفته هذه في تأليف كتب عن الأنبياء والأمم والشعوب القديمة ؛ فهو يعدّ من الأخباريين الموسوعيين واعتمد عليه اليعقوبي والمسعودي والطبري وابن قتيبة وغيرهم من أعلام المؤرخين . وذكر له ابن النديم عشرات الكتب في الأحلاف والمآثر والبيوتات وأخبار الأوائل وفيما قارب الاسلام من أمر الجاهلية وأخبار الاسلام وأخبار البلدان وأخبار الشعراء وأيام العرب، وفي القصص والحكايات والأسماء (ينظر:الفهرست : ١١١ ، ١٠٩ ، ١٠٨) .

لقد هيأت الكتب الصغيرة والرسائل والروايات المختلفة التي دوّنها الأخباريون المادة التأريخية للمؤرخين فيما بعد يضاف الى ذلك الروايات التي تلقاها هؤلاء المؤرخون عن مصادرها مباشرة أو عن طريق غير مباشر إذ بوبت هذه المواد التاريخية وظهرت طبقة المؤرخين بالمعنى الاصطلاحي وكتبوا في التأريخ العام متبعين ما يعرف بمنهج الحوليات أي

ذكر الحوادث مسلسلة بحسب السنين أو بحسب الملوك والخلفاء الذين سبقوهم منتهين الى عصر الخليفة الذي عاصروه . وبقي هذا المنهج متبعاً الى أن ظهر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ) فوضع تأريخه الموسوعي العام منذ الخليقة الى الخليفة الذي عاصره مرتباً إياه بحسب السنين مفرداً لكل سنة فصلاً يذكر فيه أهم الحوادث مضمناً تأريخه كثيراً من الأخبار والروايات والقضايا المتعلقة بالنظم الإدارية والاقتصادية والسياسية كالجيش والدواوين والقضاء والحجابة والشرطة...الخ .

وظهر مؤرخان قبل الطبري كان لهما شأن كبير في تدوين التأريخ العام ، أحدهما : خليفة بن خياط العُصْفري المعروف بشباب المتوفى سنة ٢٤٠هـ ، والآخر : أحمد بن أبي يعقوب اسحاق بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الأخباري والشهير باليعقوبي المتوفى بعد سنة (٢٩٢هـ) ، وهو من معاصري الطبري ، وقد اعتمد الطبري على كتابيهما في تدوين تأريخه.

ونجتزئ بهذين المؤرخين تتمة للموضوع ولبيان ما وصل إليه تدوين التأريخ في القرن الثاني الهجري :

ألف خليفة بن خياط كتابه في التأريخ على منهج الحوليات ، وفيما يأتي أهم الملاحظات التي يستنتجها الباحث من هذا الكتاب :

١. يُعدّ الكتاب أول كتاب في التأريخ يصـــلنا كاملاً انتهج فيه مؤلفه منهاج الحوليات .

٢. ابتدأ كتابه بحديث عن وضع التأريخ وميلاد الرسول (ص) ، وساق الأخبار بعد ذلك مرتبة بحسب السنين الهجرية مبتدئاً بالسنة الأولى ومنتهياً الى سنة (٢٣٢ هـ) .

٣. يذكر الأحداث المختلفة في كل ســنة ثم يذكر عقب ذلك من أدركته الوفاة في تلك السنة ومن أقام موسم الحج .

٤. بعد اســـتيفاء الحديث عن الخليفة يتبع ذلك ذكر من ولّوا أقاليم الدولة على عهده ومن تولّى القضـــاء في الأمصـــار ولاســـيما المشهورة منها كمكة والمدينة والبصرة والكوفة .

٥. يذكر من تولوا الحجابة للخليفة والشـــرطة والكتابة وبيوت المال والخاتم والبريد وأسماء الرسل (السفراء) .

٦. يعد الكتاب من أقدم المصادر في دراسة التأريخ الإداري والقضائي والنظم الإسلامية المختلفة .

٧. في الكتاب إحصـــاء لأســـماء القتلى في كل معركة مشـــهورة كبدر وأحد.

٨. يحكي المؤلف في كتابه أخبار الفتوح عن أهل المدينة وهي الرواية الرســـمية إذا صـــحّ التعبير ، وعن أهل كل مصـــر من الأمصـــار المفتوحة.

وأما اليعقوبي فنجد في تأريخه الملاحظات العامة الآتية:

١. أرّخ في قســـمه الأول للتاريخ القديم من آدم وما بعده الى ظهور الاســـلام ، وفيه أخبار الإســـرائيليين والســـريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجّة والزنج والحميريين والغســـاســـنة والمناذرة .
٢. أرّخ في قسـمه الثاني لتأريخ الإسـلام من مولد الرسـول (ص) الى زمن الخليفة العباسي المعتمد على الله سنة (٢٥٩هـ) .
٣. ذكر في تاريخه اللباب من مشـهور الأخبار والتواريخ ، وهو أفضـل ترتيباً وتبويباً من تأريخ خليفة بن خياط.
٤. رتب الكتاب في تأريخ الإسـلام على وفق التسـلسـل الزمني للخلفاء مبتدئاً بخلفاء الصدر الأول ومنتهياً الى زمن المعتمد العباسي .
٥. يترجم لكل خليفة ويؤرخ له توليه وما حصـــل من الأحداث المهمة في زمانه.
٦. يؤرخ لتولي الخليفة بالتأريخ الهجري ذاكراً الشـــهر وما يوافقه من الشـهور التي سـماها بشـهور العجم وهي الشـهور البابلية الأصـل المعروفـة المتداولـة في زمـاننـا مثل حزيران وآب وأيلول ... الخ . وما يلفت الانتباه أنه يذكر حركات الكواكب في الأبراج في يوم تولي الخليفة ، والظاهر أن ســـبب ذلك عنايته بالعلوم الفلكية ، فقد أرّخ على سبيل المثال لتولي أبي جعفر المنصور الخلافة بعد أخيه أبي العباس الســـفاح فقال : ((وبويع له في اليوم الذي توفي فيه أبو العباس وهو يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ومن

شـــهور العجم في حزيران ســـنة ١٣٦ ، وكانت الشـــمس يومئذ في الســـرطان درجة وعشـــر دقائق ، والقمر في الجوزاء ســـبع درجات وخمســـــاً وأربعين دقيقة ، وزحل في الجدي ســـــت عشـــــرة درجة وخمسين دقيقة والمشتري في الحمل سبعاً وعشرين درجة والمريخ في العقرب تسع عشرة درجة وأربعين دقيقة .... الخ .

٧. يورد الأخبار المتعلقة بالشـــؤون الإدارية والعمرانية والدخل والخرج والضرائب وغيرها من الحوادث التي حصلت في زمان الخليفة الذي يؤرخ له .

٨. يذكر مشـــاهير العلماء الذين عاصـــروا الخليفة وطرفاً من أخبارهم ومؤلفاتهم وفضائلهم ووفياتهم .

٩. يذكر ولاة الأمصـــار في عهد الخليفة والوزراء والقضـــاة ومن تولى موسم الحج ... الخ .

أهم المصادر والمراجع :

١. ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي) :
شذرات الذهب في أخبار من ذهب – القاهرة ١٣٥٠هـ – ١٣٥١هـ.

٢. ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) :
المعارف – تصحيح محمد اسماعيل الصاوي – المكتبة الحسينية المصرية – القاهرة ١٩٣٤.

٣. ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق) :
كتاب الفهرست – تحقيق رضا تجدد – طهران ١٩٧١.

٤. خليفة بن خياط (أبو عمرو العصفري البصري) :
تاريخ خليفة بن خياط – تحقيق سهيل زكّار – وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي (إحياء التراث القديم) – دمشق ١٩٦٧.

٥. عبد اللطيف محمد العبد : مناهج البحث العلمي – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٧٩ .

٦. عبد المنعم ماجد : مقدمة لدراسة التأريخ الإسلامي – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٦٤.

٧. عبد الواحد ذنون طه : أصول البحث التأريخي – مطبوعات جامعة الموصل – الموصل ١٩٩٠.

٨. اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن اسحاق بن جعفر) : تاريخ اليعقوبي – المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف ١٩٦٤.

المبحث الثاني

الدرهم والدينار

في

الجاهلية والإسلام

الدرهم والدينار من أهم المصطلحات النقدية التي كانت شائعة في الحضارة الإسلامية منذ فجرها على عهد الرسول الأكرم (ص) ، واتخذتهما السلطات الإسلامية التي أعقبت دولة الرسول (ص) في المدينة وزنين وعملتين حتى استقر الدرهم على المسكوك من الفضة والدينار على المسكوك من الذهب في الأعم الأغلب .

وعرف الدرهم والدينار وزنين في الجاهلية وأطلقا على النقدين الفضة والذهب واشتهر بينهم الدرهم الذي كان يضرب في بلاد فارس والدينار الذي كان يضرب في بلاد الروم أي الدولة البيزنطية ، وتداولهما أهل الجاهلية في المكاييل والأوزان يقيسان بهما المكاييل الكبيرة والصغيرة بأجزائهما فجعل الدرهم والدينار قياسين في الوزن ثم أطلقا على النقدين المعروفين .

الأوزان والمكاييل في الجاهلية والإسلام

كان العرب في الجاهلية والإسلام يتعاملون بأوزان ومكاييل واصطلحوا عليها وعلى مقاديرها باختلاف في بعضها ، واتخذوا من حبة الخردل قياساً في الوزن وأطلقوا على كل وحدة وزنية اسم (الصَّنْجة) فركبت كل مائة حبة من حبة الخردل المعتدل صنجة سموها (حَبّة) ، ثم ركبت من ثلاث (٣) حبات صنجة وسموها (قيراطاً) ، ثم من قيراطين وسموها (دانقاً) ، ثم من خمسة دوانق أو ستة أو سبعة على اختلاف الوزن وسموها (درهماً) ، ثم ركب من درهم واحد وثلاثة أسباعه (مثقال) ، ثم من أربعة (٤) مثاقيل ونصف مثقال (إسْتَار) ، ثم من إستار وثُلثي إستار (أُوقّية) ، ثم من اثنتي عشرة (١٢) أوقية (رَطْل) ، ثم من رَطْلين (منا) ثم من خمسين (٥٠) منا قنطار .

ويتلخص مما تقدم ما يأتي :

(١٠٠) حبّة خردل = حبّة .

(٣) حبات = قيراط .

(٢) قيراطان = دانق

(٥) أو (٦) أو (٧) دوانق = درهم .

درهم واحد وثلاثة أسباع الدرهم = مثقال .

(٤) مثاقيل ونصف المثقال = إستار .

إستار واحد وثلثا إستار = أوقيّة .

(١٢) أوقّية = رَطْل .

رطلان = منا .

(٥٠) منا = قنطار .

ومن مصطلحاتهم في الأوزان والمكاييل : المُدّ والصاع والقِسْط والفَرَق والوَسْق والكُرّ والقفِيز والمَكّوك والكيلجة ، فالمُدّ رطل وثلث ، والصاع أربعة أمداد عند أهل المدينة ، وثمانية أرطال عند أهل الكوفة ، والقِسْط نصف صاع ، والفَرقُ ثلاثة أصوع ، والوَسْق ستون صاعاً ، والكُرّ بالكوفة وبغداد ستون قَفِيراً ، والقَفِير ثمانية مكاكيك ، والمَكّوك ثلاث كيالج ، والكَيْلَجة (٦٠٠) درهم .

ونستنتج مما تقدم ذكره الملاحظات الآتية :

١. إن الدرهم والدينار كانا في الجاهلية وزنين ثم أطلقا على نقدين باعتبار وزنيهما .

٢. كانت الحبّة تعد من أصغر المعايير في قياس الأوزان ، واحتسبت حبّة الخردل البريّ المعتدلة أو حبة الشعير المقطوعة الطرفين عياراً وصنجة إذ احتسبوا المائة منهما مساوية للحبّة الواحدة .

٣. توسط الدرهم والمثقال من حيث الوزن ما قل أو كثر من الأوزان .

ويعد الرَّطْل من أكثر المكاييل والأوزان شهرة في المعاملات كالبيع والشراء ولاسيما أنواع الطعام والمحاصيل الزراعية وتجارة المواد ذات الأوزان الخفيفة ، ولذلك شاع استعماله في الأمصار الإسلامية المختلفة وعلى مدى عصور متفاوتة واختلفت مقاديره بين الأمصار حتى قال ابن الأخوة في كتابه (معالم القربة) : ((... ولم أسمع أن بلدة وافق رطلها لبلدة أخرى إلا نادراً، أو قرية لقرية لا يؤبه بهما ، والأوقية من نسبة رطلها جزء من اثني عشر جزءاً)) . أي أن الرطل على المشهور عند العرب والمسلمين يساوي اثني عشر أوقيّة باختلاف مقدارها بين الأمصار .

ونذكر على سبيل المثال أشهر الأرطال التي كانت متداولة في المدن الإسلامية ومقاديرها بالدرهم :

الرطل الحجازي = (١٢٠) مائة وعشرون درهماً .

الرطل المصري = (١٤٤) مائة وأربعة وأربعون درهماً .

الرطل البغدادي = (١٣٠) مائة وثلاثون درهماً .

الرطل الدمشقي = (٦٠٠) ستمائة درهم .

الرطل الحموي = (٦٦٠) ستمائة وستون درهماً .

الرطل الحلبي = (٧٢٠) سبعمائة وعشرون درهماً.

الرطل الحِمْصي = (٧٩٤) سبعمائة وأربعة وتسعون درهماً .

الرطل الحرّاني = (٧٢٠) سبعمائة وعشرون درهماً.
الرطل القُدْسي أو الخليلي أو النابلسي = (٨٠٠) ثمانمائة درهم .

وكان (المثقال) أساساً لوزن الدينار ، ومن أجزائه القيراط ، والمشهور أن كل عشرة دراهم في الوزن تساوي ستة مثاقيل ، وكل مثقال يساوي اثنين وعشرين قيراطاً إلاّ حبة ، وبحساب الحبّة يساوي المثقال اثنتين وسبعين حبّة ، زنة الحّبة الواحدة مائة حبّة شعير أي يكون المثقال (٧٢٠٠) حبّة ، وبحساب حبّة الخردل البري المعتدل يساوي المثقال ستين حبة ، زنة الحبة الواحدة مائة حبّة ، فيكون المثقال على ذلك (٦٠٠٠) حبة .

واختلف وزن القيراط أيضاً بحسب المدن والأمصار الإسلامية المعروفة ، فقد قال ابن الأثير في معجمه (النهاية في غريب الحديث – مادة "قرط") : ((القيراط جزء من أجزاء الدينار ، وهو نصف عشره في أكثر البلاد وأهل الشام يجعلونه جزءاً من أربعة وعشرين)) . وقال مرتضى الزبيدي في تاج العروس : مادة (قرط) : ((القيراط يختلف وزنه بحسب البلاد ، فبمكة ربع سُدْس دينار ، وبالعراق نصف عُشْره)) .

(الدرهم والدينار) في الجاهلية والإسلام

كان الشائع في الجاهلية تسمية الدرهم والدينار وزنين ، ثم اطلقا على النقدين ، وسمي الدرهم درهماً والدينار ديناراً لوزنهما ، وأصل الدينار ذهب ، وأصل الدرهم فضة ، وكانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهماً، وتزن الذهب بوزن تسميه ديناراً ، ويسمى المثقال من الفضة درهماً ومن الذهب ديناراً ، أي إن الدرهم يساوي مثقالاً من الفضة والدينار مثقالاً من الذهب .

وبعد مجيء الاسلام ظهر ما يعرف بالدرهم الشرعي ، واختلف الفقهاء في وزنه ، فمنهم من رأى ان الدراهم والمثاقيل الشرعية أخف وزناً من العرفية المتداولة بين الناس ، ومنهم من رأى العكس .

وذهب الشافعي الى ان كل عشرة دراهم من دراهم الإسلام وزن سبعة مثاقيل ذهباً بمثقال الإسلام ؛ فوازن الدراهم بمثاقيل الذهب لا بمثاقيل الفضة، وبحساب الحبّة ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه (غريب الحديث) الى أن ((درهم الشريعة خمسون حبّة وخُمْسا حبّة ، وسمي ذلك درهم الكيل لأن الرطل الشرعي منه تركب)) ، وتزن كل حبة مائة حبة كما تقدم ذكره، والمقصود بالحبة حبّة الشعير المتوسطة التي لم تقشر وقطع من طرفيا ما امتد .

وتعامل أهل الجاهلية بالدراهم والدنانير نقداً ، فكانت الدنانير ذهباً تفد إليهم من الدولة البيزنطية (الروم) ، وأما الدراهم فقد كانت من الفضة وتفد إليهم من بلاد فارس ، وكان النقد من الدراهم في ذلك الزمان على ثلاثة أنواع : السود الوافية ، والطبرية العتق ، والجُوراقّية نسبة الى جُوراقان قرية بنواحي همذان كانت تضرب فيها الدراهم ، وعرفت هذه الأنواع الثلاثة في صدر الإسلام أيضاً .

ضرب (سَكّ) الدراهم والدنانير في الإسلام

كانت الدراهم تضرب في بلاد فارس ، ومنها تنتشر في الحواضر العربية وغيرها . قال ابن عبد البر : ((كانت الدراهم بأرض العراق والمشرق كلها كسروية عليها صورة كسرى واسمه فيها مكتوب بالفارسية ، وزن كل درهم منها مثقال)) .

وتعامل العرب في العراق والجزيرة العربية بالدراهم الكسروية وعرفت أنواع منها مختلفة الحجم والوزن ، وفيما يأتي أهم الملاحظات المتعلقة بذلك :

١-أقرّ النبيّ (ص) النقود التي كانت معروفة في الجاهلية ، ومنها : الدراهم البَغْليّة وهي منسوبة الى ملك يقال له (رأس البَغْل). والدراهم الخوارزمية نسبة الى خوارزم من بلدان ما وراء النهر في المشرق . والدراهم الطبرية نسبة الى بلاد طبرستان من بلاد فارس .

٢-كانت الدراهم الطبرية تزن ثمانية (٨) دوانيق أو أربعة (٤) دوانيق على ما ذكرته أغلب المصادر وهو رأي جمهور الفقهاء .

٣-زنة البغلية أربعة (٤) دوانيق .

٤-زنة الدرهم الخوارزمي أربعة (٤) دوانيق ونصف الدانق .

٥-أغلب ما كان يتعامل به في عصره (ص) والصدر الأول نوعان من الدراهم : الطبري والبغلي .

٦-استقر الدرهم في زمن عمر بن الخطاب (رض) على ستة (٦) دوانيق ، وكذلك في عصر بني أمية . قال الماوردي في (الأحكام السلطانية) : ((استقر في الإسلام وزن الدرهم ستة دوانيق كل عشرة سبعة مثاقيل)).

واختلف المؤرخون في الزمان الذي ضربت فيه الدراهم والدنانير الإسلامية بعد تعريبها وإن كانت اكثر الروايات تشير الى عهد عبد الملك بن مروان إذ يقال إنه أمر بضربها في العراق سنة (٦٤) هـ ، وقيل في آخر سنة (٧٥) هـ ، ثم أمر بضربها في النواحي سنة (٧٦ هـ) .

ومن الروايات ما يشير الى أن مصعب بن الزبير أول من ضرب الدراهم والدنانير بأمر أخيه عبد الله سنة (٧٠ هـ) على ضرب الأكاسرة ، ثم غيرها الحجاج .

وثمة رواية موثوقة تفيد أن ملك الروم أحرج عبد الملك في أمر الدنانير التي كانت تضرب في بلاد الروم وتفد الى الحواضر الإسلامية بعدم تغيير ما عليها من كتابات دينية نصرانية لا تصلح في بلاد المسلمين ؛ فأرسل عبد الملك الى الامام محمد الباقر (ع) يستشيره في هذه المسألة وإحراج ملك الروم فأشار عليه الإمام (ع) بتعريب العملة وعلمه كيفية ضربها.

وتترتب على تعريب العملة ملاحظات نذكر أهمها:

١-ورد في المصادر أن عبد الملك ((قد جعل للدنانير مثاقيل من زجاج لئلا تغير او تحول الى زيادة أو نقص ، وكانت قبل ذلك من حجارة فأمر فنودي أن لا يتبايع أحد بعد ثلاثة أيام بدينار رومي فضرب الدنانير العربية وبطلت الرومية)) .

٢-ضرب عبد الملك على الدنانير والدراهم اسم الله تعالى واسم الرسول (ص) وآيات من القرآن الكريم ، واختلف في صورة ما كتب على النحو الآتي :

أ. في وجه من العملة عبارة (لا إله إلاّ الله) ، وفي الوجه الآخر عبارة (محمد رسول الله) وأرّخ وقت ضربها.

ب. ضرب على وجه من العملة عبارة (قل هو الله أحد) ، وفي الآخر عبارة (محمد رسول الله) .

ت. كتب على أحد الوجهين (الله أحد) من غير (قُلْ) .

ث. لما وصلت الدراهم الى العراق أمر الحجاج ان يكتب في جوانب الدرهم مستديراً (أرسله بالهدى ودين الحق).

ج. بقيت الدراهم والدنانير على ما هي عليه من نقش وكتابة الى زمن الرشيد ، وقيل أول من غير نقشها المنصور وكتب عليها اسمه .

صفات الدرهم

وردت في بعض المصادر ومعجمات اللغة صفات للدرهم نشير الى المهم منها :

١-درهم بَخِيٌّ : أي درهم خفيف .

٢-درهم بن دراهم : أي درهم كامل الجودة والحسن .

٣-درهم بَهْرَج بمعنى رديء ، ومثله : درهم زائف وزَيْفٌ ، والجمع : زيوف.

٤-درهم صَرِيٌّ وسَتّوق : أي له طنبن .

٥-درهم مُزَأْبَق : بمعنى المطليّ بالزئبق .

٦-درهم وازنٌ :أي ثقيل له وزن ، فهو تام لا نقص فيه ولا زيف .

أنواع الدراهم والدنانير

عرفت أنواع من الدراهم والدنانير على مختلف العصور الإسلامية تختلف من حيث العيار والوزن والنقش . وفيما يأتي ذكر للمشهور منها :

١-الدرهم الشرعي = وهو الدرهم الذي يتعامل به في الحقوق والمستحقات الشرعية كالزكاة والكفّارات وخراج الأرضين وجزية أهل الذمة وغيرها . واختلف الفقهاء في وزنه ، والمشهور عند بعضهم أن العشرة منه تزن سبعة مثاقيل من الذهب .

٢-الدراهم الهُبيْريّة = نسبة الى عمر بن هُبَيْرَة والي العراق وخراسان في أيام يزيد بن عبد الملك وهو ((أول من شدّد في أمر الوزن وخلص الفضة أبلغ تخليص ... وجوّد الدراهم وخلص العيار واشتدّ فيه)) .

٣-الدراهم الخالدية = نسبة الى خالد بن عبد الله القسري والي العراقين ((الكوفة والبصرة)) في عهد هشام بن عبد الملك ، واشتد خالد في تخليص الفضة والعيار وتجويد الدراهم أكثر من ابن هبيرة .

٤-الدراهم اليوسفية = نسبة الى يوسف بن عمر الثقفي والي العراق سنة (١٢١ هـ) لهشام بن عبد الملك . وأفرط يوسف بن عمر في الشدّة ؛ ((فكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية ، ولم يكن المنصور يقبل في الخراج غيرها)) .

٥-الدراهم المكروهة = هي الدراهم البيض التي ضربها الحّجاج ونقش عليها (قُلْ هو الله أحد) فكره الفقهاء ذلك لأن الجنب والحائض يمسها فسميت المكروهة .

٦-السكّة العباسية = دراهم ضربها السفّاح بالأنبار وعملها على نقش الدنانير وكتب عليها (السكّة العباسية) وقطع منها ونقصها حبّة ثم حبتين .

٧-الدراهم الهاشمية = نسبة الى الهاشميات ، نقصها المنصور ثلاث حبات فصارت ثلاثة أرباع القيراط لأن القيراط أربع حبات .

٨-ضرب المهدي سكّة مدورة فيها نقطة .

٩-الدنانير المحمدية = ضربها جعفر بن يحيى البرمكي في عهد الرشيد بمدينة السلام وسميت بالمحمدية نسبة الى قسم من مدينة الري ، وهو اسم وضعه العرب بعد افتتاحهم الريّ . كتب اسم الرشيد عليها ، وصيرّ نقصان الدراهم قيراطاً إلا حبّة .

١٠- الرباعيات = دراهم ودنانير ضربها المأمون بمرو قبل قتل أخيه الأمين ، وصيرّ نقصان الدرهم قيراطاً إلا حبة . وسميت الرباعيات لأن وزنها كان أربع حبات أو يكاد .

١١- الأحمدية = دنانير ضربها أحمد بن طولون والي مصر بعد منتصف القرن الثالث الهجري .

١٢- الدينار المُعزّي = دينار ضربه أبو الحسين جوهر الصقلي قائد الفاطميين الذي افتتح مصر سنة (٣٥٨ هـ) ، وسمي بالمُعزّي نسبة الى المعز لدين الله الفاطمي ونقش على أحد وجهيه ثلاثة أسطر ، أحدها : (دعا الإمام المعزّ لتوحيد الصمد الأحد) ، وتحته سطر فيه : (ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة) ، وفي الوجه الآخر (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . السلام على أفضل الوصيين وزير سيد المرسلين) .

١٣- الدراهم الناصرية = نسبة الى السلطان صلاح الدين الأيوبي . ضربها في مصر في شوال سنة (٥٨٣ هـ) وجعلها من فضة خالصة ومن نحاس نصفين بالسوية .

١٤- الدراهم الكاملية = نسبة الى الملك الكامل من سلاطين بني أيوب ، فقد أبطل الملك الكامل الدرهم الناصري وأمر في ذي القعدة من سنة (٦٢٢ هـ) بضرب دراهم مستديرة ، وأمر ألاّ يتعامل الناس بالدراهم المصرية العتق وهي التي تعرف في مصر والإسكندرية (بالوَرِق) ، وجعل الدرهم الكاملي ثلاثة أثلاث ، ثلثيه من فضة خالصة وثلثيه من نحاس.

١٥- الدراهم الظاهرية = نسبة الى الملك الظاهر بيبرس من ملوك المماليك في مصر . ضرب الدراهم وجعل كل سبعين درهماً من مائة درهم فضة خالصة ، وثلاثين نحاساً ، ونقش شعاره على الدرهم وهو صورة سبع .

١٦- الدراهم الحموية = نسبة الى مدينة حماة بالشام ، والمراد بها الدراهم التي ضربها فيها المماليك البحرية .

١٧- الدراهم البُنْدُقِيّة = ما كان يضرب بالبندقية (فينسية) .

١٨- الدراهم الفندقلية = ما كان يضرب بالقسطنطينية على غرار البندقية.

١٩- الدراهم النوروزية = نسبة الى نوروز الحافظي من أتباع الظاهر برقوق أحد سلاطين المماليك في مصر .

٢٠- الدراهم المؤيدية = نسبة الى السلطان مؤيد من سلاطين المماليك الجراكسة في مصر . ضربها في شوال سنة (٨١٧ هـ) ، ((ونودي في القاهرة بالمعاملة بها يوم السبت رابع عشر من صفر سنة (٨١٨ هـ) فتعامل الناس بها)) .

٢١- الدنانير الناصرية = نسبة الى الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق من ملوك المماليك الجراكسة بمصر والشام ، تولى السلطنة سنة (٨٠١هـ) .

٢٢- الدرهم (الدراز دهكاني) = عملة هندية قديمة .

٢٣- الدرهم (الششتكاني) = عملة هندية قديمة .

٢٤- الدرهم الصغير = كان على عهد عبد الملك يساوي أربعة دوانيق .

٢٥- الدرهم القديم والدرهم الجديد = دراهم كانت معروفة في إفريقية وبلاد تونس وماوالاها ؛ فالقديم والجديد وزناهما واحد إلاّ ان الجديد خالص

الفضة والقديم مغشوش بالنحاس . وتفاوت ما بينهما أن كل عشرة دراهم قديمة بثمانية دراهم جديدة .

٢٦- الدرهم (الهشتكاني) = عملة هندية قديمة .

٢٧- دراهم الأسجاد = هي دراهم الأكاسرة . كانت عليها صورة لكسرى فمن أبصرها سجد لها أي طأطأ لها رأسه وأظهر الخضوع.

٢٨- الدرهم الوافي = كان على عهد عبد الملك بن مروان يزن ثمانية دوانيق .

٢٩- الدراهم الجُوراقيّة = نسبة الى جُوَرقان قرية بنواحي همذان ، والدرهم الجوراقي يزن أربعة دوانيق ونصف الدانق .

٣٠- الدراهم القيصرية = نسبة الى قيصر لقب لمن ملك بلاد الروم ، أي الدراهم المضروبة في بلاد الروم (الامبراطورية البيزنطية) .

٣١- الدنانير المصرية = هي الدنانير التي ضربت في عهد الفاطميين الأوائل .

٣٢- الدنانير الصورية = هي الدنانير التي ضربت في مدينة صور بالشام وتعامل بها أهل الشام والعراق في عهد الفاطميين بعد سقوط المدينة على أيديهم سنة (٥١٨ هـ) ولم يبطل التعامل بها إلا بعد وفاة الخليفة الآمر الفاطمي .

٣٣- الدراهم الأحدية = لعلها الدراهم التي ضربها الحجاج في العراق ونقش عليها (قل هو الله أحد) .

٣٤- الدراهم القروية = استعملت هذه الدراهم في السَّنْد والملتان من بلاد الهند .

٣٥- الدينار السابوري = نسبة الى مدينة (سابور) في بلاد فارس ، وهي مدينة أسسها سابور من ملوك الفرس وكانت فيها دار لضرب النقود .

٣٦- القراطيس الإفرنجية = هي عملة فضية كان الصليبيون يتعاملون بها في الشام .

أهم المصادر والمراجع

١-ابن الأُخوّة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي) :

معالم القُرْبَة في أحكام الحِسْبة – تحقيق محمد محمود شعبان وصدّيق أحمد عيسى – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة ١٩٧٦ .

٢-أحمد الشرباصي :

المعجم الاقتصادي الإسلامي – دار الجيل – بيروت ١٩٨١.

٣-الحمزاوي (محمود أفندي) :

إيضاح المقال في الدرهم والدينار – (مجموع رسائل) – مطبعة المعارف – دمشق ١٣٠٣ هـ.

٤-الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف) :

مفاتيح العلوم – إدارة الطباعة المنيرية – مصر ١٣٤٢ هـ.

٥-الفيروز آبادي (مجد الدين) :

القاموس المحيط – القاهرة ١٩٣٨ .

٦-الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد) :

الأحكام السلطانية والولايات الدينية – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.

٧-المناوي (محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي) :

النقود والمكاييل والموازين – تحقيق رجاء محمود السامرائي – منشورات وزارة الثقافة والإعلام (سلسلة كتب التراث) – بغداد ١٩٨١.

المبحث الثالث

الحِسْبة والمُحْتسِب

في تراثنا العربي والإسلامي

الحِسْبة لغة واصطلاحاً

الحِسْبة لغة- مصدر احتسابك الأمر في أمر ما أو فعل ما، أو هي بمعنى حُسْن التدبير في إمضاء الأعمال والنظر فيها، أو هي الاعتداد بالشيء. وهذه المعاني الثلاثة تتصرف الى المعنى الاصطلاحي للكلمة. جاء في لسان العرب:

((الحِسْبة مصدر احتسابك الأجر على الله، تقول: فعلته حِسْبة، واحتسبت احتسابا، والاحتساب: طلب الأجر، والاسم الحِسْبة -بالكسر- وهو الأجر...والحِسْبة: اسم من الاحتساب...والاحتساب في الأعمال الصالحات وعند المكروهات هو البدار الى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبا للثواب المرجو منها...))[1]. وقال في موضع آخر: ((...وإنه لحَسَن الحِسْبة في الأمر، أي حَسَن التدبير والنظر فيه، وليس هو من احتساب الأجر. وفلان مُحْتسِب البلد، ولا تقل مُحْسِبه))[2].

ويرجح أن يكون معنى حسن التدبير والنظر فيه هو أقرب المعاني الى المدلول العرفي أو الاصطلاحي لكلمة الحِسْبة. وهذا ما ذهب إليه محققا

---

(١) (حسب) : ٣٠٥/١ .

(٢) اللسان (حسب) : ٣٠٧/١؟

كتاب ابن الأخوة إذ قالا: ((الحِسْبة –بكسر الحاء– يكون اسما من الاحتساب بمعنى ادخار الأجر، ويكون بمعنى الاعتداد بالشيء، ويكون من الاحتساب بمعنى حسن التدبير والنظر فيه، ومن ذلك قولهم: فلان حسن الحِسْبة في الأمر، أي حَسَنُ التدبير والنظر. وهذا المعنى اللغوي قريب من معنى الحسبة بالمعنى العرفي))[١].

والحِسْبة –اصطلاحا–: ((أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا أظهر فعله))[٢]. أو هي: ((أمر بمعروف ونهي عن منكر وإصلاح بين الناس))[٣].

وهي وظيفة دينية كما عبر عنها ابن خلدون لأنها من ((باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلاً له فيتعين فرضه عليه))[٤].

---

(١) مقدمة المحققون : ص١.

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية : ٢٤٠.

(٣) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة : ٦، وقارن بابن الأخوّة: معالم القربة فبي أحكام الحسبة : ٥١.

(٤) المقدمة : ٢٤٧.

وتختص بالنظر في أمور أهل المدينة من حيث ما قرره الشرع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]. ويسمى من يتولاها (المحتسب) إذ ينصبه الإمام أو القائم بأمور المسلمين أو من ينوب عنه ((للنظر في أهل الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم))[٢].

وتعد الحسبة في النظم الإسلامية واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم[٣].

ويتبين ذلك في اختصاص المحتسب وصلاحياته وأعماله والقضايا التي ينظر فيها، فترفع إليه الشكاوى ولاسيما المتعلقة منها بأسواق المسلمين، ويحكم فيما دون الحدّ أي بالتعزير ويترك ما فوق ذلك الى القاضي، وبكون نظره في المظالم المرفوعة إليه ضمن اختصاصه ويترك الباقي لصاحب المظالم، ولذلك قيل عنها أنها بين القضاء والمظالم.

---

(١) انظر: القنوجي: أبجد العلوم ٢٦/٢.

(٢) معالم القربة: ١٥١.

(٣) انظر: الأحكام السلطانية : ٢٤١.

وكانت الحسبة في بعض الدول الإسلامية تدخل في عموم ولاية القاضي يوليها باختياره كما كانت على عهد الدولة الفاطمية والدولة الأموية في الأندلس، ثم أفردت وظيفتها عن القضاء[1].

الحسبة على عهد الرسول (ص) والصدر الأول :

بدأت الحسبة على عهد رسول الله (ص) بعد الهجرة النبوية الشريفة وتأسيس الحكومة النبوية في المدينة، ونشأت بسيطة مباشرة شأنها في ذلك شأن النظم الإسلامية الأخرى لبساطة المجتمع الإسلامي الأول وعدم اتساع الرقعة الجغرافية للدولة كما حصل في عصر الفتوحات الإسلامية التي بدأت منذ عهد الخليفة الأول واتسعت على عهد الخليفة الثاني وبلغت أوجها بعد قيام الدولة الأموية.

ووردت إشارات في كتب الحديث والتأريخ الى ما يقرب من نظام الحسبة على عهد النبي (ص) كمنع ببع الطعام في مكان شرائه من الركبان والقوافل التي تحمله وتتجربه وضرورة بيعه في الأسواق؛ فقد جاء في الصحيح: ((أنهم كانوا يشترون الطعام من الركبان على عهد رسول الله (ص) فبعث إليهم من يمنعهم أن يبيعوه حيث اشتروه حتى ينقلوه حيث يباع الطعام))[2].

---

(١) انظر: المقدمة : ٢٤٨.

(٢) الكتاني : التراتيب الإدارية : ٢٨٤/١.

وكان الذين يبيعون الطعام على عهد رسول الله (ص) مجازفة أي بغير كيل ولا وزن ولا عدد يضربون ويمنعون من بيعه[١].

وذكرت الروايات أن الرسول (ص) انتدب من يشرف على الأسواق؛ فقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أن الرسول (ص) استعمل سعيد بن سعيد بن العاص بعد الفتح على سوق مكة، وجاء في السيرة أن الرسول (ص) استعمل سعيد بن العاص بعد الفتح على سوق مكة وعمر بن الخطاب عل سوق المدينة[٢].

ومن الإشارات النادرة ما يؤيد تفويض المرأة بدلاً من الرجل ما يشبه الحسبة على الأسواق؛ فقد ورد في الاستيعاب أن ((سمراء بنت نهيك الأسدية أدركت النبي (ص) وكانت تمر في الأسواق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنهى الناس عن ذلك بسوط معها)).

ويروى عن عمر بن الخطاب أنه ولى الحسبة في سوق من الأسواق امرأة تسمى أم الشفاء وهي أم سليمان بن أبي خيثمة الأنصارية[٣].

---

(١) انظر: التراتيب الإدارية : ٢٨٥/١.

(٢) التراتيب الإدارية : ٢٨٥/١، ٢٨٧.

(٣) التراتيب الإدارية : ٢٨٥/١.

وأفادت المصادر أن الحكام من الصدر الأول كانوا يباشرون الحسبة بأنفسهم[١]. ولما اتسعت رقعة الدولة بعد عصر الفتوحات أفردت بالنظر لمن يتولاها، وكانت في أول أمرها تابعة للقضاء ثم أفردت عنه كما سبقت الإشارة الى ذلك. وذكر الماوردي[٢] ان الحسبة دخلها الفساد والرشوة حين أفردت ولم يباشرها الحاكم بنفسه، وهذا أمر يصح عليها وعلى غيرها من النظم حينما تفشى الفساد الإداري في أجهزة الدولة ولم يسلم الحاكم أو السلطان نفسه من ذلك.

شروط المحتسب :

إن وظيفة المحتسب تستدعي اختلاطه بالمجتمع بشتى طبقاته ولاسيما التجار وذوي المهن والحرف والباعة، والإشراف على الأسواق ومجمل النشاط الاقتصادي الداخلي للدولة. ولذلك وضعت للمحتسب شروط وصفات دينية وثقافية وأخلاقية ينبغي أن يستعين بها لأداء وظيفته على أتم وجه ممكن. ويبقى تحقق هذه الشروط أو بعضها مرهون بمدى فاعلية الجهاز الإداري والقضائي للدولة، لقد ذكرت كتب الأحكام والنظم شروطاً لمن يتولى الحسبة نجملها فيما يأتي:-

---

(١) انظر: الأحكام السلطانية: ٢٥٨ ، ومعالم القربة : ٥١.

(٢) الأحكام السلطانية: ٢٥٨.

١- الإسلام والبلوغ والحرية أي أن لا يكون عبدا مملوكا والعدالة بمعنى تنزهه عن الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر. قال الماوردي: ((...فمن شروط والي الحسبة أن يكون حراً عدلاً ذا رأي وصراحة وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة))[١]، وقال ابن الأخوة:((ومن شروط المحتسب أن يكون مسلما حرّاً بالغا عاقلا عدلاً قادراً..))[٢].

والتكليف شرط في وجوب التولي للحسبة لأن غير المكلف لا يلزمه ذلك. وأما جواز الفعل فلا يشترط فيه إلا العقل ((حتى أن الصبي المراهق للبلوغ المميز وإن لم يكن مكلفا فله إنكار المنكر وله أن يريق الخمور ويكسر الملاهي، وإذا فعل ذلك فإن له به ثواباً))[٣].

٢- وعلى الرغم من بعض الإشارات القليلة الى تولي المرأة الحسبة في الأسواق في زمن النبي والصدر الأول فإن بعض الفقهاء والقضاة اشترط الذكورة فيمن يتولى الحسبة؛ فقد ورد في كتاب (التيسير في أحكام التسعير) للقاضي أبي العباس أحمد بن سعيد ((من شروط المحتسب أن يكون ذكراً))[٤].

---

(١) الأحكام السلطانية: ٢٤١.

(٢) معالم القربة : ٥١.

(٣) معالم القربة : ٥١.

(٤) التراتيب الإدارية : ٢٨٥/١.

٣- الفقه والمعرفة بأحكام الشريعة والورع عن المحارم والمعاصي وخلوص النية في عمله لله تعالي. قال الشيزري: ((وجب أن يكون المحتسب فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة ليعلم ما يأمر به وينهى عنه...وأول ما يجب على المحتسب أن يعمل بما يعلم ولا يكون قوله مخالفاً لفعله...ويجب على المحتسب أن يقصد بقوله وفعله وجه الله تعالى وطلب مرضاته خالص النية لا يشوبه في طويته رياء ولا مراء، ويجتنب في رياسته منافسة الخلق ومفاخرة ابناء الجنس لينشر الله تعالى عليه رداء القبول وعلم التوفيق ويقذف له في القلوب مهابة وجلالاً ومبادرة الى قبول قوله بالسمع والطاعة))[١].

وقال القنوجي: ((ولابد أن يكون المحتسب عالما بمواقع الحسبة، وأن يكون ورعا حسن الخلق...ومن آدابها تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه ويقطع الطمع حتى تزول عنه المداهنة))[٢].

٤- الرفق بالناس وحسن الأخلاق. قال الشيزري: ((وليكن من شيمته الرفق ولين القول وطلاقة الوجه وسهولة الأخلاق عند أمره للناس ونهيه))[٣].

---

(١) نهاية الرتبة: ٦، ٧.

(٢) أبجد العلوم: ٣٦/٢.

(٣) نهاية الرتبة:٩.

٥- استتابة من غش ووعظه وتخويفه قبل إنزال العقوبة به. قال الشيزري: ((وإذا عثر بمن نقص المكيال أو بخس الميزان أو غش بضاعة أو صناعة...استتابه عن معصيته ووعظه وخوّفه وأنذره العقوبة والتعزير؛ فإن عاد الى فعله عزّره على حسب ما يليق به من التعزير بقدر الجناية ولا يبلغ به الحدّ))[١] .

٦- التعفف عن أموال الناس والتورع عن قبول الرشوة والهدايا وأن يلزم أعوانه بذلك. قال الشيزري: ((ومن الشروط اللوازم للمحتسب ان يكون عفيفا عن أموال الناس متورعا عن قبول الهدية من المتعيشين وأرباب الصناعات فإن ذلك رشوة ...ويلزم غلمانه وأعوانه بما التزمه من هذه الشروط؛ فإن أكثر ما يتطرق التهمة الى المحتسب من غلمانه وأعوانه، فإن علم أن أحدا منهم أخذ رشوة أو قبل هدية صرفه عنه لتنتفي عنه الظنون وتنجلي عنه الشبهات))[٢].

٧- عناية من يتولى الحسبة بنظافته ونظافة ثيابه، قال الشيزري: ((وينبغي للمحتسب أن يكون مواظبا على سنن رسول الله (ص) من

---

(١) نهاية الرتبة:٩ .

(٢) نهاية الرتبة: ١٠.

قص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة وتقليم الأظفار ونظافة الثياب وتقصيرها والتعطر بالمسك ونحوه)) [1].

خصائص المحتسب وصلاحياته:

ما يختص به المحتسب لمزاولة عمله يختلف عن القضاء وردّ المظالم؛ فعمله كما تقدم ذكره واسطة بينهما، وقد انتهت النظم الإدارية للدولة الى الموارد التي يختص بها دون غيره ونجملها فيما يأتي[2]:

١- فرض الاحتساب متعين على المحتسب بحكم الولاية، أي إن فرض الاحتساب وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستمد صلاحيته بحكم السلطة التي يفترض أنها عاملة بالأحكام الشرعية.

٢- إن قيام المحتسب بوظيفته من حقوق تصرفه الذي لا يجوز أن يتشاغل عنه.

٣- إنه منصوب للاستعداء إليه فيما يجب إنكاره، بمعنى أنه مكلف بما يجب إنكاره شرعاً وعرف في الأسواق وغيرها من ظهور المنكر ومنعه إياه.

---

(١) نهاية الرتبة:٨ .

(٢) انظر: الأحكام السلطانية : ٢٤٠.

٤- على المحتسب إجابة من استعداه، أي من طلب منه إظهار العداء للمنكر وتلبية شكواه.

٥- عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليصل الى إنكارها ويفحص عما ترك من المعروف الظاهر ليأمر بإقامته.

٦- اتخاذه الأعوان والغلمان لإنجاز عمله على الوجه المقبول: ((له أن يتخذ على إنكاره أعوانا لأنه عمل هو له منصوب وإليه مندوب)). وهذه الفقرة تصريح بالتنظيم الإداري للحسبة، فهي أشبه بدائرة يقودها مدير وينفذ أوامره موظفون وعمال أقرب ما يكونون الى الشرطة.

٧- له أن يعزّر في المنكرات الظاهرة لا يتجاوز الى الحدود[١].

٨- له أن يرتزق على حسبته من بيت المال: أي يخصص له مال (كالمرتب الشهري).

٩- له اجتهاد رأيه فيما تعلق بالعرف دون الشرع: أي الموارد التي لم يقر لها الشرع حكما مخصوصا.

١٠- أما جواز تسعير الأقوات للمحتسب فقد اختلف فيه الفقهاء؛ فمنهم من أجاز ذلك في بعض الموارد، وعدم الجواز هو المشهور إلا إذا سعر الإمام أي الحاكم. وممن أجاز تسعير الأقوات الإمام مالك.

---

(١) الحد في الشرع: ((عقوبة مُقدّرة وجبت حقاً لله تعالى)) كحد الزنا والقتل وشرب الخمر. التعريفات: ٨٧، وانظر: القونوي: أنيس الفقهاء: ١٧٣. والتعزير: (تأديب دون الحد). التعريفات: ٦٥، وانظر: أنيس الفقهاء: ١٧٤.

قال الماوردي: ((ولا يجوز [للمحتسب] أن يسّعر على الناس الأقوات ولا غيرها في رخص ولا غلاء، وأجازه مالك في الأقوات مع الغلاء))[1].

ورجّح السبكي تحريم التسعير في كل وقت إذ قال: ((...ويحرم عليه [المحتسب] التسعير في كل وقت على الصحيح، وقيل: يجوز في زمان الغلاء، وقيل: يجوز إذا لم يكن مجلوبا بل كان مزروعاً في البلد وكان عند الشتاء. وإذا سعر الإمام انقادت الرعية لحكمه ومن خالفه استحق التعزير))[2].

١١- وكان المحتسب يلازم الأسواق والدروب يراقبها عن كثب ويتخذ له سوطا ودرّة وطُرْطُوراً وغلماناً وأعواناً وجواسيس ورصداً يأتون إليه بأخبار السوق والسُّوقَة ((فان ذلك أرعب لقلوب العامة وأشد خوفاً))[3].

---

(١) الأحكام السلطانية: ٢٥٦.

(٢) معيد النعم ومبيد النقم: ٦٦.

(٣) نهاية الرتبة:١٠. الدرّة: ((أداة للضرب كانت تتخذ في عصر المؤلف [القرن السادس الهجري] من جلد البقر أو الحمل وتحشى بنوى التمر)). والطرطور: ((غطاء للرأس وهو طويل دقيق من أعلى كان يصنع في عصر المؤلف من اللبد وينقش بالخرق الملونة ويكلل بالخرز والودع والأحراس وأذناب الثعالب والسنانير ويضعه المحتسب على رأس المذنب للتشهير به)) نهاية الرتبة: حاشية المحقق ص١٠.

وظائف المحتسب (ما ينظر فيه) :

تنحصر وظائف المحتسب في ثلاثة أقسام، أحدها: ما يتعلق بحقوق الله تعالى، والثاني: ما يتعلق بحقوق الناس، والثالث: مشترك بين الأمرين. وفيما يأتي مجمل لأعماله وما ينظر فيه من الشؤون على حسب التقسيم المذكور آنفا[1].

١- إقامة صلاة الجمعة: (انعقادها للجميع وليس الحكم على حضور الأفراد).

٢- صلاة الجماعة في المساجد واقامة الأذان فيها.

٣- البلد إذا تعطل شربه أو استهدم سوره أو كان يطرقه بنو السبيل من ذوي الحاجة فكفّوا عن معونتهم؛ فإن كان في بيت المال مال لم يتوجه عليهم فيه ضرر أمر بإصلاح شربهم وبناء سورهم وبمعونة بني السبيل في الاجتياز بهم...وكذلك لو استهدمت مساجدهم وجوامعهم.

٤-الحقوق إذا مطلت والديون إذا أخرت فللمتحسب أن يأمر بالخروج منها مع المكنة إذا استعداه أصحاب الحقوق...وكذلك كفالة من تجب

---

(١) انظر: الأحكام السلطانية من ص (٢٤٣) الى ص (٢٥٨) .

كفالته من الصغار والاعتراض له فيها حتى بحكم بها الحاكم فيجوز حينئذ للمحتسب أن يأمر بالقيام بها على الشروط المستحقة فيها.

٥- أما قبول الوصايا والودائع فليس له أن يأمر فيها أعيان الناس وآحادهم، ويجوز أن يأمر بها على العموم حثاً على التعاون بالبرّ والتقوى.

٦- أخذ الأولياء بنكاح الأيامي أكفاءهن إذا طلبن، وإلزام النساء أحكام العدد إذا فورقن.

٧- من نفى ولداً [عن أبوته له] قد ثبت فراش أمه ولحوق نسبه أخذه بأحكام الآباء جبراً وعزّره عن النفي أدباً. ويأخذ السادة بحقوق العبيد والإماء، وأن لا يكلفوا من الأعمال ما لا يطيقون، وكذلك أرباب البهائم يأخذهم بعلوفتها إذا قصروا وأن لا يستعملوها فيما لا تطيق.

٨- ومن أخذ لقيطاً وقصّر في كفالته أمره أن يقوم بحقوق التقاطه من التزام كفالته أو تسليمه الى من يلتزمها ويقوم بها، وكذلك واجد الضوال (الماشية التي ضلت طريقها وصاحبها) إذا قصّر فيها يأخذه بمثل ذلك من القيام بها.

٩-ما تعلق بالعبادات كالقاصد مخالفة هيئاتها المشروعة والمتعمد تغيير أوصافها المسنونة مثل من يقصد الجهر في صلاة الإسرار، والإسرار في صلاة الجهر أو يزيد في الصلاة أو في الأذان أذكاراً غير مسنونة

فللمحتسب إنكارها وتأديب المعاند إذا لم يقل بما ارتكبه إمام متبوع، وكذلك إذا أخل بتطهير جسده أو ثوبه او موضع صلاته أنكره عليه إذا تحقق ذلك منه ولا يؤاخذه بالتهم والظنون.

١٠- إذا وجد من يتصدى لعلم الشرع وليس من أهله من فقيه او واعظ ولم يأمن اغترار الناس به في سوء تأويل أو تحريف جواب أنكر عليه التصدي لما ليس هو من أهله وأظهر أمره لئلاّ يغترّ به.

١١- إذا تعرض بعض المفسرين لكتاب الله تعالى بتأويل عُدِل فيه عن ظاهر التنزيل الى باطن بدعة تتكلف له غمض معانيه او تفرد بعض الرواة بآحاديث مناكير تنفر منها النفوس أو يفسد بها التأويل كان على المحتسب إنكار ذلك والمنع منة.

١٢- منع الناس من مواقف الريب ومظان التهمة كالمجاهرة بشرب الخمر وإظهار الملاهي المحرمة والمعاملات المنكرة كالزنا والبيوع الفاسدة وما منع الشرع منة، وفي معنى المعاملات عقود المناكح المحرمة ومن المعاملات غش المبيعات وتدليس الأثمان والمنع من التطفيف والبخس في المكاييل والموازين والصنجات (عيار الوزن).

١٣- مراعاة العمل في الوفور والتقصير كالأطباء والمعلمين، ومراعاة الحال في الأمانة والخيانة مثل الصاغة والحاكة والقصّارين والصباغين.

١٤- مراعاة العمل في الجودة والرداءة، وهو مما ينفرد بالنظر فيه ولاة الحسبة ولهم أن ينكروا عليهم في العموم فساد العمل ورداءته.

١٥- المنع من الإشراف على منازل الناس.

١٦- منع من تعرّض من المسلمين لأهل الذمّة بسب أو أذىً.

١٧- منع سادة العبيد إذا استعملوا عبيدهم فيما لا يطيقون الدوام عليه.

١٨- منع أرباب المواشي إذا استعملوها فيما لا تطيق الدوام عليه.

١٩- للمحتسب أن يمنع أرباب السفن من حمل ما لا تسعه ويخاف منه غرقها، وكذلك يمنعهم من المسير عند اشتداد الريح.

٢٠- النظر في مقاعد الأسواق فيقر المحتسب ما لا ضرر فيه على المارة ويمنع ما استضرّ به المارة.

٢١- إذا بنى قوم في طريق سابل منع منه. وإن اتسع الطريق يأخذهم بهدم ما بنوه ولو كان المبني مسجدا لأن مرافق الطرق للسلوك لا للأبنية.

٢٢- المنع من خصاء الآدميين والبهائم.

٢٣- المنع من التكسب بالكهانة واللهو.

٢٤- النظر في النقود من الذهب والفضة ((فعليه اعتبار العيار بمحلكّ النظر والتثبت في سكّة المسلمين)) والنظر في المياه وتوزيعها[١].

٢٥- النظر في الأسواق والطرقات وما ينبغي أن تكون عليه في الارتفاع والاتساع وحدود الدكاكين وعدم خروجها عن حدودها لكي لا يتضرر الناس وأن يجعل لكل أهل صنعة سوق يختص بهم. والنظر في القناطير و المثاقيل والدراهم، وهي الأوزان المستعملة في بيع ما يوزن ويكال ومعرفة حدودها الشرعية وما اختص به كل إقليم من أقاليم المسلمين من وزن يتعاملون به[٢].

وتعد أسواق المسلمين من اكثر الموارد أهمية في نظر المحتسب لما لها من أثر اقتصادي وتجاري وما توفره من السلع والأغذية والأطعمة والأشربة...الخ.

ونظر المحتسب في أصحاب المهن والحِرف والصناعات، ووردت في كتب الحسبة مسميات الكثير من تلك المهن والحرف، وفيما يأتي أشهرها:

- الحُبوبيّون = الذين يبيعون الغلّة كالحنطة والشعير.

-الدقّاقون = الطحّانون.

---

(١) معيد النعم : ٦٦.

(٢) انظر: نهاية الرتبة: من ص(١١) الى ص (٢٠) .

-الخبّازون.

-العجانون = الذين يعجنون العجين للخبازين.

-الفرّانون = أصحاب الفُرْن يخبز فيه الخبز ويشوى السمك.

-صُنّاع الزَّلابِية = الزلابية نوع من الحلوى يستعمل في عملها العسل واللوز.

-الجزّارون و القصّابون.

-الشوّاؤن = الشوّاء: من يشوي صغار الخراف في التنور.

-الروّاسون = بائعو رؤوس الغنم والمعز وأكارعها.

-القلاّؤن = الذين يقلون السمك.

-الهرائسيّون =الذين يبيعون الهريسة. والهَرِيسة: طعام من خليط القمح واللحم.

-النقائقيّون = النقائقيّ: من يصنع النقائق وهي طعام يعمل من المصارين المحشوة باللحم والبصل والتوابل.

-الحَلْوانّيون= بائعو الحَلْوى.

- الصيادلة = بائعو العقاقير والأشربة الطبية.

-العطارون = بائعو الطِيب والعطور كالعنبر والكافور والمسك والزعفران والعود الهندي والصندل...الخ.

- الشرابّيون = صُنّاع الأشربة الطبية.

- السمّانون =بائعو السَّمْن والزيت وبعض الأطعمة كالتمر والزبيب والخل وزيت الأسرجة والجبن والعسل...الخ.

- البزّازون = بائعو الثياب.

- الدلالون والمنادون =الدلاّل: من يتوسط بين البائع و المشتري، وكذلك المنادي.

-الحاكة =جمع حائك، وهو الذي ينسج الغزل قماشا.

- الخيّاطون والرفّاؤون.

-القطّانون =الذين يقومون بندف القطن.

-الكتّانون = بائعو الكتان.

- الحريريّيون =الذين يصنعون الحرير ويبيعونه.

-الصباغون = صباغو الحرير وغيره من الغَزْل والثياب.

-الأساكفة =بائعو الأحذية وصانعوها ومصلحوها.

-الصيارف أو الصيارفة =الصرّاف هو من يتولى عقد بيع السلع أو العملة بعضها ببعض

-الصاغة.

-النحّاسون و الحدادون.

-البياطرة.

-نخّاسو العبيد والدواب =النخاس: المتاجر بالرقيق والعبيد والدوابّ.

-الحمّامات وقَوَمتُها.

-الفصّادون والحجامون =الفصّاد: من يفصد العِرْق في بدن الإنسان ويستخرج منه الدم علاجا من بعض الأمراض .والحجام: من يحجم الإنسان في ظهره بالمشرط لاستخراج الدم الفاسد.

-الأطباء.

-الكحّالون =أطباء العيون.

-المُجبّرون =أطباء الكسور والرضوض.

- الجرائحيون =الأطباء الجراحون.

-مؤدبو الصبيان =المعلمون.

المصادر والمراجع

١. ابن الأُخّوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي):

معالم القربة في أحكام الحسبة – تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي –الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة ١٩٧٦ .

٢. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد).

مقدمة ابن خلدون –مطبعة التقدم– القاهرة ١٣٢٩ هـ.

٣. ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرّم):

لسان العرب –بولاق– القاهرة ١٣٠٠هـ– ١٣٠٧هـ.

٤. السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي):

معيد النعم ومبيد النقم –دار الحداثة– بيروت ١٩٨٥.

٥. الشريف الجرجاني (علي بن محمد):

التعريفات –طبعة مصورة عن طبعة لايبزك بتحقيق كوستاف فلوجل– مكتبة لبنان –بيروت ١٩٧٨ .

٦. الشيزري (عبد الرحمن بن نصر):

نهاية الرتبة في طلب الحسبة – تحقيق السيد الباز العريني– دار الثقافة – بيروت ١٩٨١.

٧. القنوجي (صديق بن حسن):

أبجد العلوم –نشر دار الكتب العلمية عن طبعتي الهند ودمشق– بيروت د.ت.

٨. القونوي (الشيخ قاسم):

أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء– تحقيق أحمد عبد الرزاق الكبيسي –دار الوفاء للنشر والتوزيع– السعودية ١٩٨٧ .

٩. الكتاني (عبد الحي):

التراتيب الإدارية –دار إحياء التراث العربي– بيروت د.ت.

١٠.الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي):

الأحكام السلطانية والولايات الدينية –مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة –١٣٩٣هـ– ١٩٧٣هـ.

المبحث الرابع

الصلات الحضارية

بين اللغتين العربية والفارسية

تمهيد :

أثرت اللغة العربية في اللغة الفارسية كما تأثرت بها عبر عصور متتالية قبل ظهور الإسلام الى قرون هجرية متأخرة . والأسباب الموجبة لهذا التأثير والتأثر لا تعدو الأسباب المعروفة عن تأثير الحضارات بعضها في بعض لعوامل سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية، فالايرانيون دخلوا الإسلام طواعية منذ القرن الأول الهجري، وهاجرت أو هجرت كثير من القبائل العربية في عصور الدولة الأموية واستوطنت أنحاءً من بلاد فارس من أقصى شمالها الى أدنى جنوبها ومن شرقها الى غربها كطبرستان وجرجان وكيلان وأصبهان والري وهمذان وقزوين وشيراز وسجستان... الخ. واعتنق أغلب الإيرانيون الإسلام وتعلموا العربية لقراءة القرآن الكريم وأداء الصلاة. وأثرت اللغة العربية في لغتهم أبلغ تأثير عرفته اللغات المعروفة في العالم. وما انقضى القرن الثالث الهجري حتى انحسرت اللغة الفارسية الوسيطة المعروفة بالبهلوية وحلت محلها الفارسية الحديثة المعروفة (بالدَرِيّة) عند بعض الباحثين، واقترضت هذه اللغة ما يقرب من ٤٠% من ألفاظها من اللغة العربية على مراحل متتالية من العقود. وكادت اللغة الفارسية أن تقتصر على لغة الحديث فيما بين الإيرانيين وانحسرت عن مجمل اللغة الأدبية في إيران إبان الإمارتين الطاهرية والصَفّارية في القرنين الثاني والثالث الهجريين الى ان جاءت الإمارة السامانية بعد ذلك، وبدأت اللغة

الأدبية تدب فيها الحياة وظهرت طلائع الأدباء الفرس من الكتاب والأدباء وبلغت الحركة الأدبية في العصر السلجوقي أي في القرن الخامس الهجري وما بعده ذروتها وتبوأت الفارسية منزلة أدبية رفيعة في إيران واستطاعت أن تستوعب سيل الألفاظ العربية وتوظيفها من حيث المعنى والمدلول في البنية اللغوية العامة للفارسية الحديثة التي يتكلم بها الإيرانيون واتضحت اللغة الأدبية الفصيحة ونضجت في القرنين السادس والسابع الهجريين وما بعدهما بظهور عمالقة الأدب الفارسي مثل سعدي الشيرازي وحافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي.

وتأثرت العربية بالفارسية أيضاً، فقد دلت الدراسات في المعرب أن المعربات من الفارسية لها الصدارة، تليها المعربات من لغات أخر كالسريانية واليونانية والعبرية واللاتينية. وقد دخلت مجموعات من الألفاظ في اللغة العربية منذ القدم أي قبل الإسلام من الفارسية الوسيطة المعروفة بالبهلوية وأغلب المعربات الفارسية منها، ثم اقترضت العربية ألفاظاً ذات أصول فارسية بعد الإسلام أقل مما اقترضته قبل الإسلام كما توصلت إليه دراسات وبحوث في هذا الباب. ويمكن بحث المجالات الدلالية للمعرب الفارسي للتوصل الى مدى التأثير في العربية ولاسيما جوانب التأثير الحضاري ومظاهره، والعكس وارد أيضاً أي دراسة ألفاظ مختارة دخلت الفارسية للكشف عن مدى التأثير الحضاري المتبادل بين اللغتين.

وبناءً على ما تقدم ذكره يمكن تقسيم هذا البحث على بحثين، الأول: يتناول بالدرس أثر الفارسية في العربية من خلال دراسة الألفاظ المتعلقة بالحضارة المادية والحياة الاجتماعية والحياة الثقافية والفنون الإيقاعية والتشكيلية. والثاني: يتناول أثر العربية في الفارسية من حيث الألفاظ والمصطلحات الإسلامية والألفاظ الاجتماعية .

أثر الفارسية في العربية :

إن أغلب الألفاظ المعرّبة من الفارسية كانت من ذوات الدلالات على مجمل الحضارة المادية كالمأكل والملبس والدور والقصور ووسائل التسلية والعمران والطرق والجسور ...الخ، فمن الأمثلة المخصوصة باللباس وما يتصل به كأنواع النسيج الألفاظ الآتية:

(الإبْريَسم) : هو ضرب من الحرير تنسج منه ملابس رقيقة. والكلمة معرّبة من (أَبْرِيَشمْ)[١] وتعني الحرير في الفارسية[٢].

---

(١) ابن خلف تبريزي: برهان قاطع : ٦١.

(٢) عبد النعيم حسنين : قاموس الفارسية : ٥٩.

(السَّرَق) : هو شُقق الحرير كما ذكر الجوهري[١] وخصصها أبو عبيدة بالبيض منها، مفردها: سَرَقة. وأصلها بالفارسية (سَرَه)[٢] وتطلق على الحرير الأبيض المُعلَّم[٣] .

(الإسْتَبْرَق) : كلمة وردت في القرآن الكريم[٤] وتطلق على الغليظ من الدَّيباج[٥]. وأصل الكلمة (اِسْتَبْر) بمعنى الغليظ[٦].

(الدَّيباج) : الحرير، أو الحرير الملون. وأصل الكلمة (ديباه) ومعناها قماش غالي الثمن ينسج من الإبريسم[٧].

---

(١) الصحاح : ١٤٩٦.

(٢) الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي :٦٣.

(٣) برهان قاطع : ٦٤٦.

(٤) في قوله تعالى من سورة الكهف :٣١ ((ويلبسون ثياباً خُضْراً من سُنْدُسٍ واستبرق)). ووردت الكلمة في سورة الدخان :٥٣ ، والرحمن: ٥٤، والإنسان: ٢١.

(٥) الصحاح :١٤٩٦.

(٦) برهان قاطع: ٨٦٢.

(٧) برهان قاطع: ٥٢٠.

(الدَّيابُوذ) : ثوب ينسج بنِيرينِ[١]. وأصل الكلمة في الفارسية (دُو بُود)، وهي مركبة من كلمتين: (دو) أي اثنين، و (بُوذْ) : هو نِير ينسج بعرض الثوب خلاف النير الذي ينسج بطوله[٢].

(السَّبيج والَّسبِيجة والسُّبْجَة) : قال الجوهري: " السَّبيج والسَّبيجة: البَقيِر وهو بُرْد يُشَقُّ فيلبسَ بلا كُمّينِ ولا جَيْب، وهو القميص"[٣] . والسُّبْجَة منه وهي كساء أسود. وأصل الكلمة في الفارسية: (شَبِى) وتطلق على ضرب من الثياب، وقيل هو الفراء، وقيل هو الثوب الذي يلبس في الليل[٤].

(الَقْرُدَماني) : قَبَاء مَحْشوٌّ يتخذ للحرب[٥]. ويرجح أن تكون هذه الكلمة معربة من أصل فارسي هو (كَرْدَمَند) ومعناها: الجَلِدُ الحادّ الشديد[٦]، وعلاقة التشبيه واضحة أي لباس شديد النسج يتخذ للحرب.

---

(١) الصحاح :٥٦٤.
(٢) برهان قاطع: ٧٠٨.
(٣) انظر: الصحاح :٣٢١.
(٤) برهان قاطع : ٧٠٨.
(٥) الصحاح : ٢٠٠٦.
(٦) برهان قاطع: ٨٩٨.

(اَلْيَلمَق) : هو القَبَاء[١] المحشوّ. وأصل الكلمة (يَلْمَه) وتعني في الفارسية القباء[٢].

(المساتق): هي فراء طوال الأكمام، واحدتها: مُسْتَقَة. وأصل الكلمة (مُسْتى) وتطلق على نوع من النسيج اللطيف والحرير الرقيق[٣].

(الكِرْباس) : والكِرْباسة أخص، وتجمع على الكرابيس وهي ثياب خشنة[٤]. وأصل الكلمة من (كَرْباس) وتطلق على ضرب من القماش منسوج باليد من خيوط القطن.

(الطَّيْلَسان) : قال الجوهري: "الطَّيْلسان– بفتح اللام– واحد الطيالسة، والهاء في الجمع للعجمة لأنه فارسي معرب" [٥]، والكلمة فارسية محضة وتطلق على الرداء الذي يلقيه الخطيب على كتفيه[٦].

---

(١) الصحاح:١٤٦٦.
(٢) برهان قاطع:١٢٣٨.
(٣) الصحاح:١٤٩٤.
(٤) برهان قاطع : ١٠٨٤.
(٥) الصحاح:٩٧٠.
(٦) الصحاح:٩٤٤. وانظر: المعرّب: ٢٧٥.

(الشَّوْذَر) : المِلْحَفة[١]. وأصل الكلمة (چادُرْ) وتعني الملاءة أو كساء كالعباءة تلبسه النساء للتحجب[٢].

(الدَّخْدَار) : ثوب أبيض مصون[٣] أو الثوب الأسود والأبيض أو الثوب الذي يلبس في النوم[٤]. وأصل الكلمة في الفارسية (تَخْت دار) [٥]، وهي مركبة من (تَخْت) بمعنى اللوح ، و (دار) بمعنى (ذو) و (صاحب) . أي الثوب ذو الألواح ويقصد به اللون الأبيض والأسود.

(السراويل) : أصل الكلمة من (شَلْوار) وتعني الإزار واللباس القصير الذي يلبس على الساقين[٦]. ومن الألفاظ المتصلة بالطعام :

---

(١) برهان قاطع: ٧٧١.

(٢) الصحاح: ٩٧٠.

(٣) الصحاح: ٩٤٤. وانظر المعرب : ٢٧٥.

(٤) برهان قاطع : ٧٧١.

(٥) الصحاح : ٦٩٥.

(٦) برهان قاطع: ٧٣١.

(الكاَمِخ): الذي يؤتدم به[١]. وأصل الكلمة (كامه) ، ومن معانيها: أن يطبخ اللبن الحليب مع اللبن الرائب[٢].

(الفالُوذ والفالُوذق): ضرب من الحلواء يعمل من لُبّ الحنطة[٣]. وأصل الكلمة (پالُوده).

(الزَّماوَرْد) : أصلها في الفارسية (بَزْمَاَوْرد) وهو طعام من لحم مطبوخ وكراث وبيض[٤].

((السُّكَّر) : وأصله (شَكَرْ) [٥].

(النَّشَا) : وأصله (نِشاسْتَه) [٦].

(الجَرْدَق): قال الجوهري: " الجَرْدَق والجَرْدَقة: فارسي معرب، وأصل الكلمة كِرْد، وهو الغليظ من الخبز" [٧]. والصواب ما ذكره الجوهري إذ إن أصل الكلمة (كِرْد) وتعني بالفارسية ضرباً من الخبز[٨].

---

(١) الصحاح :١٤٩٥.
(٢) برهان قاطع: ١٢٢٧.
(٣) برهان قاطع:٢٣٤.
(٤) برهان قاطع:١٨٥.
(٥) برهان قاطع:٧٢٤.
(٦) المعرب: ٣٨٨.
(٧) الصحاح :١٤٥٤.
(٨) برهان قاطع:٩٨٢.

ومن الألفاظ المتصلة بالبناء والدور والقصور:

(الهِنْداز والمهندس): قال الجوهري: " الهِنْداز : معرب وأصله بالفارسية (أندازه).

يقال : أعطاه بلا حساب ولا هنداز. ومنه (المُهَنْدِز) وهو الذي يقدرّ مجاري القُنيّ والأبنية إلا أنهم صيّروا الزاي سيناُ فقالوا: مهندس لأنه ليس في كلام العرب زاي قبلها دال" [١]، وكلمة (أندازه) بالفارسية تعني مقدار شيء وبيان قياسه[٢]. وعُرّب منها كلمة هنداز بمعنى تقدير الشيء وقياسه، ومن ثم اشتقت من (هنداز) كلمة (مهندز) التي تغيرت الى مهندس.

(الدَّهْليز): ما بين الباب والدار[٣]. والكلمة فارسية محضة لأن (دِهْليز) تعني في الفارسية : الطريق الضيق الطويل والممر الضيق[٤].

(الطاق) : ما عُطِفَ من الأبنية[٥]. والكلمة فارسية محضة وتعني : المحراب، وحدّ الإيوان والبناء ، ومعبر النهر[٦].

---

(١) الصحاح:٩٠٢، وانظر: ١٩٩٢.
(٢) برهان قاطع :١٢١٧.
(٣) الصحاح :٨٧٨.
(٤) قاموس الفارسية :٢٧١.
(٥) الصحاح :١٥١٩.
(٦) برهان قاطع:٧٦١.

(الطارمة) : بيت من خشب[١]. وأصل الكلمة من (طارم)، ومن معانيها في الفارسية : بيت من خشب ، وزريبة الدوابّ، وسطح الدار، والقبة[٢].

(الآجُرّ): الذي يبنى به[٣]. والكلمة فارسية محضة ، وهي (آجُرْ) بمعنى اللَّبِن الذي يبنى به.

(الجَوْسَق) : القصر[٤]. والكلمة من أصل فارسي هو (جَوْسَه) وتعني القصر وما يبنى على الطابق الأول من البيت[٥].

ومن الألفاظ المخصوصة بالشراب وأدواته وما يتصل به:

(الدَّوْرَق): مكيال للشراب[٦]. وأصل الكلمة (دَوْر) وتطلق على أنية لشرب الخمر[٧].

---

(١) الصحاح :١٩٧٣.
(٢) برهان قاطع: ٧٦٠.
(٣) الصحاح: ٥٧٦.
(٤) الصحاح:١٤٥٤.
(٥) برهان قاطع:٣٦١.
(٦) الصحاح:١٤٧٤.
(٧) برهان قاطع: ٥١٢.

(الإبْريق): واحد الأباريق، والكلمة من أصل فارسي هو (آبْرِيز) ، ومن معانيها: المرحاض والدَلْو وآنية يصب بها الماء في الغسل وحفرة للمياه المستعملة[١].

(الحُبّ): الذي يجعل فيه الماء[٢]. وأصل الكلمة (خُنْب) وتطلق على ظرف يجعل فيه الماء والشراب ونحوهما ومثلها كلمة (خُمْ).

واقترضت العربية من الفارسية ألفاظاً مخصوصة بالحياة الاجتماعية كالألفاظ المتصلة بالحِرف والطبقات الاجتماعية ، والألفاظ المتصلة بالأعياد والألعاب، والألفاظ المتصلة بالعقائد والأديان . وفيما يأتي أمثلة لهذه الألفاظ:

(البَرْدَج): هو السَّبْيُ[٣]. وأصل الكلمة (بَرْدَه) وتطلق على الأسير عامة سواء أكان رجلاً أم امرأة[٤].

(السَّفْسِير): لهذه الكلمة مدلولات مختلفة في العربية[٥] فتطلق على السمسار والفَيْج (وهو رسول السلطان على رجله المسرع الذي يحمل الأخبار

---

(١) برهان قاطع: ٢٣.

(٢) الصحاح :١٠٥، وانظر: المعرب:١٦٨.

(٣) الصحاح :٢٩٩.

(٤) برهان قاطع: ١٧٣.

(٥) انظر: الصحاح :٦٨٧، والمعرب:٢٣٣، ٢٣٤.

من بلد الى بلد) ، والتابع، والعبقري الحاذق بصناعته، والحاذق بأمر الحِديد، والذي يقوم على الإبل ويصلح من شأنها. والكلمة من أصل فارسي هو (سِفْسار) بمعنى السمسار[١].

(البَيْزَار) : يجمع على بَيازرة، وهو حامل البازيّ وخادم الصَّقْر للصيد به عند الملوك. ذكر الجوهري والجواليقي أن الكلمة معربة من (بازيارُ) [٢]. وأصل الكلمة في الفارسية (بَازْيَار) أو (بازدار) وتطلق الأولى على الصياد وأمير الصيد، وتطلق الثانية على الصيد والصياد وخادم الصقر[٣].

(الفَيْج): هو الذي يسعى على رجليه، رسول السلطان على رجليه[٤]. وأصل الكلمة (پَيْك) وتطلق على الرسول الذي يحمل رسالة، والساعي بين البلاد لحمل الرسائل[٥].

---

(١) برهان قاطع: ١٧٣.

(٢) الصحاح :٥٨٩، والمعرب: ١٢٦.

(٣) انظر: برهان قاطع :١٥١، ١٥٢.

(٤) الصحاح :٣٣٦، والمعرب: ٢٩١.

(٥) أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة: ١٢٢.

(الدرابنة) : البوابون[١]، ويقتضي القياس أن يكون الواحد منهم : دَرْبَان. وأصل الكلمة (دَرْبان) وتطلق في الفارسية على الحارس، وحارس باب القصر[٢].

(الدَّهْقان) : التاجر. وأصل الكلمة (دِهْكان) وتطلق في الفارسية على الفلاح والمزارع[٣].

(الهِرْبذ): أصل الكلمة في الفارسية (هِرْبِد) وتطلق على خادم بيت النار وقاضي المجوس وحاكم بيت النار[٤].

(الصَّوْلَجان): عصا يُعْطفُ طرفها يضرب بها الكرة على الدوابّ. وأصل الكلمة في الفارسية (چَوْكَان) ، وتطلق على عود طرفه معوج أو على عود طرفه معوج يضرب به على الطبل ونحوه خاصة، وعلى عود طويل معوج يُسمّى (كَوْكَبة) وهو من شارات السلطان[٥].

---

(١) الصحاح :٢١١٢.
(٢) برهان قاطع: ١٥٧.
(٣) برهان قاطع: ٥١٨.
(٤) برهان قاطع: ١٩٦.
(٥) برهان قاطع: ٣٩٨.

(الجُلاهِق): البُنْدُق، ومنه قوس الجُلاهق وهو ما يرمي به الصبيان، وطين مدور يرمى به عن القوس [1]، أصل الكلمة (جُلاَهه) أو (جُلّه) وتعني بالفارسية كُبّة غَزْل[2].

(السَّذَق) : ليلة يحتفل فيها الفرس بإشعال النيران[3]، وتطلق على اليوم العاشر من شهر(بَهْمَن) من شهور السنة الفارسية . وكان الإيرانيون يحتفلون في هذا اليوم ويشعلون فيه الكثير من النيران[4]. وأصل الكلمة (سَدَه) .

أثر العربية في الفارسية:

إن تأثير اللغات بعضها في بعض من الدراسات المهمة في علم اللغة التأريخي والمقارن، وما من لغة إلا وقد أثرت في لغة أخرى أو تأثرت بها على نسب متفاوتة، ومظاهر هذا التأثير المتبادل تنجلي على المستويات اللغوية المعروفة وهي : الأصوات والبنية الصرفية والتركيب النحوي والدلالة.

---

(١) انظر: الصحاح :١٤٥٤، والمعرب: ١٤٤.

(٢) برهان قاطع: ٣٥٣.

(٣) الصحاح :١٤٩٥.

(٤) برهان قاطع: ٦٣١.

والفارسية من أكثر لغات العالم تأثراً بالعربية ونعني بها الفارسية الحديثة التي ظهرت بعد ثلاثة قرون من ظهور الإسلام، فقد اقترضت الفارسية من العربية أصواتاً مثل الثاء والصاد والضاد والطاء والظاء والعين ، ولواحق أو سوابق صرفية اتصلت بالجذور أو بالكلمات ذات الأصول الفارسية ودلت الكلمة بعد التركيب على معنىً آخر، ولكنها لم تتأثر على نحو واضح بالاشتقاق الصرفي للكلمات أو بالبنية التركيبية النحوية، فقد احتفظت الفارسية بأصولها الهندية الأوربية في هذا المجال.

أما التأثير الأكبر فقد ظهر في اقتراض الألفاظ الكثيرة من العربية حتى بلغت أكثر من ٤٠% من مجموع الثروة اللفظية للغة الفارسية الحديثة. وسنعنى في هذا المبحث بهذا الجانب أي بالألفاظ التي اقترضتها الفارسية من العربية، إذ دحلت في الفارسية مئات الألفاظ العربية ذات المدلولات المختلفة وتكوّن في مجملها مجموعات دلالية كبيرة شملت أغلب المعاني الدلالية، وما تزال الفارسية الى يومنا هذا تأخذ من العربية ألفاظاً وتدخلها في بناها الصرفية من حيث التركيب والسوابق واللواحق وتستفيد منها في تنويع المجالات الدلالية وزيادة الثروة اللفظية فيها، وسنتخذ من (قاموس الفارسية)[*] مصدراً وهو معجم ثنائي فارسي / عربي ألفه المرحوم الدكتور

---

[*] طبع دار الكتاب المصري (القاهرة) ، ودار الكتاب اللبناني(بيروت) ، ١٩٨٢م-١٤٠٢هـ.

عبد النعيم محمد حسنين أستاذ الفارسية ورئيس قسم اللغات الشرقية في كلية الآداب بجامعة عين شمس وعميد كلية اللغات في جامعة الأزهر سابقاً.

من الألفاظ العربية المحضة المفردة من غير تركيب مع جذر أو مصدر أو كلمة فارسية:

ثابت = الثابت. المحكم الأساس . المستقر. والثاء تلفظ سيناً أينما وردت

ثبات = الثبات. الرسوخ . المقاومة . الصبر.

ثَبْت = الثقة . ثابت الرأي والعزم. التوقيع . التسجيل

ثبوت = الاستقرار . الثبات . الوقوف في المكان

ثَمَر= الثمر . النتيجة

ثواب = الأجر الالهي . الثواب

ثَيّب= المرأة المطلقة أو التي مات زوجها. الرجل المطلق أو التي ماتت زوجته

خضاب= تلوين اليد أو الرجل أو الشعر أو الذقن بالحِنّاء

خَط = الخَطّ . الكتابة

خطور = ما يخطر على القلب والفكر أو الذهن

خِلاف = الخلاف . المخالفة

دَبُور = ريح تهب من ناحية المغرب ، مقابل الصَّبا

دُخَان = الدُّخَان

دَرْج = إدخال شيء في شيء آخر . كتابة شيء ودرجه في كتاب أو جريدة

دُرْج= صندوق صغير . جعبة صغيرة توضع فيها الجواهر وأدوات الزينة

درجة = درجة . رتبة . مرتبة . كل جزء من أجزاء الدائرة أو جهاز قياس الحرارة ونحوه

دَرْس = الدرس الذي يتعلمه التلميذ بوساطة كتاب . الجزء من الكتاب الذي يدرس للتلميذ في كل مرة

سائس= مُؤدَّب . مُدبّر لأمور قوم عن طريق العقل والحكمة والتدبير

سائق = من يسوق الشيء . السائق

سائل = السائل . المستفسر . المستجدي

سابح = السابح في الماء . العائم . الذاهب بسرعة

سابق = متقدم. سابق . من له سبق

ساتر = ما يستر الشيء . ما يخفي الشيء ويغطيه

ساحر = الساحر . المشعوذ

ساحل = الساحل . الطرف . ساحل البحر

شَغَب = ضوضاء . اضطراب . إثارة الفتنة

شُغْل = عمل . حرفة

شفاء = ذهاب المرض والعلة . دواء . علاج

شريف = ذو شرف . عظيم . عالي القدر

شريفة = مؤنث شريف

شفّاف = كل شيء يكشف ما وراءه كالزجاج أو البلور

شَفْع= زوج . العدد الزوجي

شُفْعَة = حقّ الجار في أن يشتري ما يبيعه جاره ويتقدم على غيره

شَفَق = بقية نور الشمس وحمرتها في أول الغروب

شفيع = مُتشفَّع . من يتوسط لشخص لتحقيق خير أو مصلحة له

شمائل = طباع . شمائل . محاسن

شمّاع = الذي يبيع الشمع . الذي يصب الشمع المذاب .

طائر= الطائر . كل ما يطير . وتلفظ الطاء تاءً

طائف = من يطوف . من يسير بالليل

طائفة = جماعة من الناس . قطعة من شيء

طائل = قدرة . استطاعة . منفعة . وإذا ذكرت قبلها (لا) النافية (= لا طائل) فمعناها : عبث . بلا فائدة . بدون منفعة

طابع = العلامة التي توضع على الشيء لتمييزه . من يقوم بالطبع

طاحونة = الطاحونة . الرّحى

طارق = ما يجيء في الليلة التالية . ما يظهر في الليل . نجم الصبح

طاغي = ظالم . سفّاح . جَسُور

طاغوت = كل شيء باطل. كل معبود غير الله . صنم . معتدٍ

طالب = طالب للشيء . راغب . طالب علم

ظالم = ظالم . قاسي القلب . مؤذٍ

ظاهر = واضح . ظاهر . بيّن

ظريف = حسن الطبع . ظريف . جميل . وتلفظ الظاء زاياً

عاطل = بلا عمل . بلا شيء . بلا زينة . مهمل . عديم الفائدة . وتلفظ العين همزةً

عاقٌّ = من يغضب والديه . ومن يؤذي والديه

عاقر = المرأة العاقر

عاقل= عاقل . حكيم

عاكف = مقيم . معتكف في المسجد للعبادة

عالِم = عالم . ذو علم

عاهة = آفة . عاهة

عَبَث = عبث . غير مفيد . عديم الجدوى

عتيد = جاهز . مُهّيأ . حاضر . قوي

عتيق = قديم . بالٍ . حُرّ . مختار

عُجْب = الغرور . التكبر . الإعجاب بالنفس

عَجْز = الضعف . التخلف . التعب

عَرْش= العرش . السرير . السقف . القصر

ومن الألفاظ العربية المركبة مع الفارسية :

استطاعت داشْتَنْ = الاستطاعة . القدرة

استعفا دادَنْ = الاستقالة . الاستغناء

استعمال كَرْدَنْ = الاستعمال

استقامت كَرْدَنْ = المواظبة . المثابرة . الثبات

استقبال كَرْدَنْ = الاستقبال . الاستحسان . الإقبال على الشيء

اختلال داَشْتَنْ = حدوث الاختلال

اختيار دادَنْ = تفويض السلطة والتصرف في الأعمال

اختيار داشْتَنْ = الحرية والاختيار في العمل

خطا كار= المذنب . المجرم

خطا گُفْتَنْ= قول شيء خاطئ

خَطَرْنَاكْ = ذو خطر . ما يخشى منه الهلاك

خط كَشْ = المسطرة

خط نُوِيسْ = الخطّاط. البارع في الخط

خلاص دادَنْ= التخليص . منح النجاة لشخص

خلاص يافتن = النجاة . التخلص من البلاء

اهم المصادر والمراجع

- ابن خلف تبريزى (محمد حسين متخلص به برهان) :

برهان قاطع – به تصحيح محمد عباس – مؤسسه مطبوعاتى فريدون علمى – تهران ١٣٤٤ هـ.ش

- أدّي شير: معجم الألفاظ الفارسية المعرّبة – مكتبة لبنان – بيروت ١٩٨٠م.
- الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد) :

المُعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار الكتب – القاهرة ١٣٨٩ هـ- ١٩٦٩م.

- الجوهري (اسماعيل بن حماد) :

الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) – تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م.

- عبد النعيم محمد حسنين : قاموس الفارسية – دار الكتاب المصري (القاهرة) ، ودار الكتاب اللبناني (بيروت) ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م.

المبحث الخامس

الأسس التاريخية في

البحث اللغوي

علم اللغة من العلوم التي تستعين بالعلوم و المعارف الأخرى كعلم النفس والاجتماع وتشريح الأعضاء والأصوات...الخ. و التأريخ من جملة المعارف التي يستعين بها علم اللغة في فهم الظاهرة اللغوية وما طرأ عليها من تغيير وتطور عبر الزمان، ولذلك قال ماريو باي معلقا على الصلات التي تربط علم اللغة التأريخي بالتأريخ: (إن الصلات بين علم اللغة التأريخي والتأريخ لفي حاجة الى دعم قوي، كذلك فإن التطور اللغوي في حاجة الى أن يوضع تاريخيا في مكانه الحقيقي) [1].

وللتأريخ علائق وشيجة الصلة بمنهجين من مناهج علم اللغة الحديث ظهرا واضحين في البحث اللغوي عند الأوربيين في القرن التاسع عشر. هما: علم اللغة التأريخي وعلم اللغة المقارن. وكان الأول أسبق ظهورا من الثاني، ويعد الثاني وليداً له، ولكن ذلك لا يمنع من أن جذور البحث التأريخي اللغوي قد تمتد الى حقب قديمة، فقد تدارس فلاسفة الإغريق طبيعة اللغة وبحثوا في أصلها ((وهو نوع من النشاط ربما عُد بداية التفكير في علم اللغة التأريخي))[2].

وبدأت الدراسات المنهجية الجادة في أواخر القرن الثامن عشر فيما أطلق عليه (فقه اللغة) أو (الفيلولوجيا). وقد عني هذا المنهج بالنصوص المكتوبة شرحا وتوضيحا و التعليق عليها واهتم بالتاريخ الادبي و العادات و التقاليد الاجتماعية.

---

(١) ماريوباي : أسس علم اللغة: ٢٤١.

(٢) أسس علم اللغة : ١٦٣

وكان الهدف من دراسة المسائل اللغوية ((مقارنة النصوص التي كتبت في فترات زمنية مختلفة لمعرفة اللغة التي يختص بها كل مؤلف من مؤلفي هذه النصوص، ولحل رموز بعض اللغات القديمة الغامضة وتفسيرها))[١].

وقد أفاد البحث الفيلولوجي فيما بعد علم اللغة التأريخي لأنه مهدّ له السبيل وهيأ له المنهج في البحوث التفصيلية للغات علي اختلاف الأزمنة والأمكنة والاستفادة من اللغة المكتوبة ولاسيما النصوص والوثائق التأريخية والأدبية وغيرهما، وبرز المنهج التاريخي في المباحث اللغوية في أواخر القرن الثامن عشر على انه الرصيد العلمي في وصف تلك المباحث لأنه يقوم على الملاحظة والاستنتاج واستعمال النصوص والوثائق وفك رموز اللغات القديمة البائدة ودراسة العلاقات بينها وبين اللغات الحية، ((وقد بدا أن من الخير لعلم اللغة التأريخي أن يتجه وجهة واقعية فيهتم الى حد ما بفحص نمو اللغة وتطورها على أساس من الوثائق الثابتة تأريخيا بدلا من أن يشغل نفسه بالأسس والنظريات التي ربما تعم اللغات بأسرها))[٢].

وأطلق على هذا الضرب من المنهج التأريخي في الدراسات اللغوية مصطلح (علم اللغة التأريخي) (Historical linguistics)[٣] وهو أول المناهج ظهورا في علم اللغة الحديث، ونضجت أسسه ومباحثه ودراساته في القرن التاسع عشر وبلغ ازدهاره في أواخر هذا القرن وبدايات القرن العشرين .

---

(١) دي سوسير: علم اللغة العام: ١٩ .

(٢) أسس علم اللغة : ١٦٤.

(٣) معجم مصطلحات علم اللغة الحديث : ٦٥.

وظهر في هذه الفترة اتجاه أخر في البحث اللغوي يعتمد على وصف اللغة ولاسيما المتكلمة منها وصفا تحليليا لمستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية بغض النظر عن تغيرها عبر الزمان، وقد تبنى دي سوسير هذا الاتجاه الجديد في كتابة المعروف بـ (علم اللغة العام) فمهد بذلك الى ظهور ما اصطلح عليه بـ(علم اللغة الوصفي) الذي يعد ثالث المناهج ظهورا بعد المنهجين التاريخي والمقارن.

ويرى دي سوسير أن علم اللغة يجب أن يشمل المجالات الاتية [1]:

أ. ((وصف تاريخ اللغات المعروفة جميعها. ويعني ذلك تتبع تاريخ الأسر اللغوية وإعادة بناء اللغة الأم لكل أسرة على قدر المستطاع)).

ب. ((تحديد القوى التي تعمل بصورة دائمية وعامة في جميع اللغات واستنتاج القواعد العامة من جميع الظواهر التأريخية الخاصة)).

ت. ((تحديد معالم علم اللغة وطبيعته)).

والاختلاف الجو هري بين المنهجين التأريخي و الوصفي يكمن في أن المنهج التأريخي ينظر الى اللغة عبر مراحلها الزمنية المختلفة، أي يتناول بالدرس لغة ما في مكان معين عبر أزمنة مختلفة، ولذلك يوصف بأنه منهج (متحرك). وأما المنهج الوصفي فهو يصف لغة ما في مكان وزمان معينين

---

(١) علم اللغة العام : ٩٨.

بغض النظر عما كانت عليه سابقا أو ما انتهت إليه لاحقا إذا كانت الدراسة تنصب على حقبة زمنية قديمة؛ فهو منهج يوصف بالثبات أو (السكون) لأنه يهتم بمرحلة واحدة من مراحل تاريخ اللغة ويصفها كما هي في تلك المرحلة من دون الغوص في مراحلها المتقدمة أو بما ينبغي ان تكون عليه وفاقا لمعايير الصحة والغلط.

ولما كان المنهج التاريخي يدرس اللغة (عبر الزمان)، والمنهج الوصفي يدرس اللغة (في الزمان) فضّل دي سوسير أن يطلق على هذين المنهجين مصطلحين أخرين هما: (diachronic) بمعنى التأريخي أو الزمني بدلا من المنهج التأريخي، و(Synchronic) بمعنى التزامني بدلا من المنهج الوصفي. قال: ((...ولكن إذا اردنا ان نبرز التقابل بين نمطين من الظواهر التي تعود الى موضوع واحد فمن الأفضل ان نستخدم علم اللغة السنكروني وعلم اللغة الدايكروني: فكل شيء يتعلق بالجانب الثابت لعلم اللغة انما هو تزامني، وكل شيء يتعلق بالتطور إنما هو زمني...))[1]. وظهر بذلك ما عرف بعلم اللغة الدياكروني (diachronic Linguistics) –ويسميه دي سوسير ايضا علم اللغة الحركي (dynamic Linguistics)[2] وعلم اللغة

---

(١) علم اللغة العام :١٠٠ .

(٢) معجم مصطلحات علم اللغة الحديث : ٦٥.

السينكروني (Synchronic Linguistics)[1] . وبقي هذان المصطلحات أقل شيوعا من مصطلحي (علم اللغة التأريخي) و (علم اللغة الوصفي) في الدراسات اللغوية وبخاصة تلك التي تتعلق بالمنهج.

إن اللغة بطبيعتها الاجتماعية وربما لأسباب أخرى غير ذلك عرضة للتغيير المستمر، ولكن هذا التغير لن يكون ملحوظا إلا في فترات زمنية طويلة، وقد يكون التغير سريعا أو بطيئا تبعاً للأسباب الموجبه له. وتشبه اللغة في سيرها المرحلي الأحداث التأريخية في تسلسلها، وتحتاج في فهم مراحلها ما يحتاج اليه المؤرخ من تحليل الأحداث والاستنتاج منها، ولذلك ارتبط علم اللغة التأريخي بالتاريخ من خلال تحليل الظواهر اللغوية وتفسير ما يطرأ عليها من تحول وتبدل في مراحلها الزمنية، ومن ثم استنتاج المعايير العامة او التفسيرات المبررة المستندة الي تحليل الظواهر للوصول الى فهم عام ومشترك للغة او لمجموعة من اللغات.

والمهم في هذا التصور ان تكون مادة اللغة نفسها وما يرتبط بها من خارجها هي موضع التحليل والاستنتاج كما أن مادة الحدث التأريخي وما يرتبط به من العوامل الخارجية هي موضع دراسة المؤرخ وتحليله و استنتاجه.

---

(١) معجم مصطلحات علم اللغة الحديث: ١٨ ،١٩.

وقد عبر دي سوسير عن خضوع اللغة للتغير المستمر بقوله: ((إن عدم التغيير المطلق لا وجود له؛ فكل جزء من اللغة يخضع للتغيير، ويعود لكل فترة شيء من التطور الملموس. وقد يختلف التطور في سرعته وشدّته ولكن هذا لا يؤثر في صحة مبدأ التغبير. فجدول اللغة يجري من دون انقطاع وسواء كان المجرى هادئا او هائجا فذلك أمر ذو أهمية ثانوية))[1].

ويتصف علم اللغة التاريخي بالفاعلية المستمرة (dynamic) في دراسة اللغة وتغيرها في مختلف مراحلها، وهي صفة تتيح لهذا المنهج أن يتناول بالبحث الاصوات والبني الصرفية والتراكيب النحوية ودلالات الألفاظ، ويعتمد في تحليله للتغيرات الحاصلة للغة على عوامل تأريخية لا يمكن تفاديها على المستوبين التأريخي والوصفي، وقد أشار ماريو باي الى هذه المسألة المنهجية المهمة قائلا: ((أما علم اللغة التأريخي فهو علم يتميز بفاعلية مستمرة، فهو يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة، وتغير اللغة عبر الزمان والمكان خاصة فطرية في داخل اللغة، وفي كل اللغات. ويحدث التغير في كل الاتجاهات (النماذج الصوتية والتراكيب الصرفية والنحوية والمفردات) ولكن ليس على مستوى واحد ولا طبقا لنظام معين ثابت. هذه التغيرات اللغوية تعتمد على مجموعة من العوامل التاريخية، وبينما يمكن دراسة هذه

---

(١) علم اللغة العام : ١٦٣.

التغيرات دراسة وصفية هي محض تعريف بأشكال التغيرات الحادثة فإنه لا يمكن عزلها عن الأحداث التأريخية التي تصاحب وجودها))[1].

ولما كان علم اللغة التاريخي يتعامل مع اللغة عبر مراحلها التأربخية المختلفة اهتم باللغة المكتوبة أكثر من اهتمامه باللغة المنطوقة، فهو ينظر في مجموعة من اللغات القديمة انقرض بعضها ويحاول ان يجد السبل المنهجية الى فك رموزها ومعرفة خصائصها وتغيرها عبر أجيال الناطقين بها.

وهنا أمر لا تكفله إلا المادة المكتوبة والنصوص الموروثة على الرغم من عدم كفايتها في تصور ما كانت عليه اللغات قديما وانعدام وسائل تسجيلها لمعرفة دقائق النطق كما هو الحال في وصف اللغات الحية التي ما تزال مستعملة ويمكن وصفها وصفا دقيقا عن طريق تسجيل النماذج الصوتية والصرفية والنحوية ومعرفة دلالات مفرداتها. يضاف الى ذلك ان المادة المكتوبة غالبا ما تعبر عن النصوص الأدبية والرسمية أي عن اللغة المعيارية. وينطبق ذلك على النصوص الفردية الخاصة فهي تعبر عن اللغة المختارة. وهذا ما يحرم المنهج التأريخي من التعرف على الاستخدام الشعبي والاجتماعي للغة المتحررة من قيود المعيارية.

---

(١) أسس علم اللغة : ١٣٧.

وقد وجدت المادة المكتوبة في طي المراحل التأريخية للغات على أنحاء مختلفة كالنقوش المحفورة على الحجارة والصخور وجوانب الجبال والألواح الطينية وألواح الشمع والوثائق المسجلة على ورق البردي والرقائق وأوراق الكتابة المعتادة، وبتقدم الزمان وتطور أدوات الكتابة واختراع الطباعة نجد نصوصا مطبوعة او مكتوبة على الآلة الكاتبة[١].

والسؤال المهم الذي يسأل في هذا المقام هو مدى حجية الوثائق في وصف كل مرحلة وتحليلها والاستنتاج منها إذ لابد من فحص الوثائق والتثبت من صحتها ومن ثم استعمالها في الكشف عن المراحل التاريخية للغة. وينبغي أنّ تفحص حجية هذه الوثائق ((على ضوء ما نعرفه من نقطة للبداية ونقطة للنهاية بالنسبة لكل كلمة او صيغة، وعلى ضوء معلوماتنا المتفرقة عن الفترة المتوسطة بينهما))[٢] . وعلى الرغم من الدراسات اللغوية التاريخية الرصينة لمجموعات أساسية من اللغات كالمجموعة الهندية الأوربية والمجموعة السامية وما توصلت إليه من نتائج مهمة واتساع الدائرة التي قطعت شوطا زمنيا أكثر من قرن فإن لعلم اللغة التأريخي مشاكله الكثيرة التي تنتظر حلولا تتناسب والجهد المبذول في هذا الميدان، كالعلاقات الاشتقاقية وتطور اللغات ولاسيما اللغات التي يندر الحصول على مادة

---

(١) أسس علم اللغة : ١٦٤.

(٢) أسس علم اللغة : ١٦٧.

مكتوبة لها، ومشكلة وحدة الأصل في اللغات التي يفترض أنها تنحدر من اصل لغوي واحد، وترجمة اللغات القديمة وتفسيرها ولاسيما اللغات التي لم تحظ بعناية الدارسين(١).

ومن الموضوعات ذات الصلة بالمنهج التأريخي في دراسة اللغة ما اصطلح عليه بـ(الاقتراض) وهو أن تستعير لغة ألفاظ من لغة أخرى فتستعملها كأنها أصيلة، وبمعني اخر دخول مجموعة من الإلفاظ من لغة الى لغة أخرى سدّاً للحاجة أو لأسباب أخرى.

و استعمال مصطلح (الاقتراض) للدلالة على هذه الظاهرة اللغوية الشائعة في اكثر اللغات القديمة و المستحدثة هو من باب المجاز او التجوز في التعبير عن المعنى إذ لا اقتراض على وجه الحقيقة وإنما هو دخول ألفاظ من لغة الى اخرى فاللغة المستعيرة ((لا تجرد اللغة المستعار منها تلك الالفاظ المستعارة بل تنتفع بها كلا اللغتين ، وليست اللغة المستعيرة مطالبة برد ما اقترضته من ألفاظ اللغات الأخرى))(٢) .

ويقتضي البحث في الألفاظ المقترضة دراسة تأريخ اللغة لمعرفة تلك الألفاظ، ومتى دخلت ؟ وكيفية دخولها؟ والنسبة المئوية التي تشكلها في اللغة

---

(١) أنظر: أسس علم اللغة : ٢٤١.

(٢) ابراهيم أنيس : من اسرار اللغة : ١١٧.

المقترضة وطبيعتها ومصادرها [١]. وهذا كله له ارتباط وثيق بعلم اللغة التأريخي وعلم اللغة المقارن.

ويعد الاقتراض اللغوي من الظواهر اللغوية ذات الصلة بالمراحل التأريخية للغة. ويمكن توضيح هذه الصلة بما اصطلح عليه بالنظرية الطبقية (Substratum Theory)[٢] وهي نظرية مؤسسة على فهم المراحل التاريخية للغات على أنها تشبه بطبقات القشرة الارضية، اذ تمثل كل طبقة عصرا من عصور اللغة، ويرتبط بعضها ببعض ((فاللغة حين تحل ببيئة من البيئات وتستقر فيها تأخذ شكلا جديدا يستمد جذوره مما سبقها من لغات في نفس البيئة)). ومن جملة ما تستمده اقتراض الألفاظ غير ان الاقتراض لا يكون بالضرورة من البيئة التي حلت فيها اللغة، فغالبا ما تكون عوامل الاقتراض واسبابه نتيجة لمبدأ التأثير والتأثر بدواع متباينة، منها الغزو اللغوي والتأثير الثقافي والحضاري وحاجة اللغة للتعبير عن افكار جديدة وافدة أو مستجدات مختلفة تستدعي الدلالة عليها بألفاظ وعبارات...الخ.

---

(١) أسس علم اللغة : ٢٤١.

(٢) انظر : من اسرار اللغة : ١٠٩ ، ويطلق مصطلح (Substratum) على الطبقة التحتية في اللغات كاللغة المغزوة . انظر: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث : ٨٨.

وقد يكون الاقتراض فرديا فيشيع استعماله بين الجماعة، او جماعيا حين تشعر جماعة من افراد البيئة بالحاجة الى استعارة ألفاظ من لغة اخرى. وقد لا يكون الاقتراض نتيجة للحاجة حسب إذ نجد ان بعض الدواعي له – وإن كانت قليلة– هي مجرد الإعجاب باللغة المستعار منها(١).

وللبحث في الاقتراض اللغوي منهج ينبغي اتباعه ومراعاته في تأصيل الألفاظ لكي تكون الدراسة مبنية على أصول علمية منهجية مستفيدة من المنهجين التاريخي والمقارن . ونجمل فيما يأتي اهم أسس هذا المنهج :

١. تأصيل الألفاظ بالكشف عن أصولها المباشرة وغير المباشرة.

٢. القيم الدلالية للألفاظ المقترضة، بمعني بيان المجالات الدلالية لهذه الألفاظ لمعرفة الأسباب الموجبة لاقتراضها.

٣. بيان التغيرات الصوتية والصرفية للألفاظ بعد اقتراضها للكشف عن بعض القوانين الصوتية و القيم الصرفية في بنية الكلمة.

٤. القيم الدلالية للألفاظ بعد اقتراضها، بمعني المقارنة بين معاني الألفاظ في أصولها ومعانيها بعد اقتراضها.

---

(١) من أسرار اللغة : ١١٧ ، ١١٨.

٥. الاشتقاق. ونعني به خضوع الألفاظ المقترضة للاشتقاق في اللغة المستعيرة وبيان الصيغ الجديدة التي حصلت نتيجة لذلك.

وغالبا ما يكون الاقتراض مبررا، أي له أسباب ومسوغات سواء أكان فرديا أم جماعيا، وقد يكون الاقتراض في بعض حالاته غير مبرر، وفي هذه الحال تبقى الكلمة المقترضة مع الكلمة الأصيلة من حيث الاستعمال مدة من الزمن قد تندثر بعده الكلمة الاصيلة وتبقى الكلمة المقترضة في حيز الاستعمال اللغوي(١).

وشاع الاقتراض بين اللغات الأوربية حتى صار أمراً مألوفا. وتشير أغلب المعجمات المؤلفة في هذه اللغات الي الكلمات الأصيلة و الكلمات المقترضة من لغات أخرى مع ذكر اللغة المستعار منها(٢).

وربما كانت الألفاظ ذات المدلولات الحضارية من اكثر الألفاظ عرضة للاقتراض بين اللغات ، لأن الحضارات تفرز الجوانب العقلية والاجتماعية من ثقافة وعلوم وآداب ومهن وحرف وصناعات والات وأدوات...الخ. قال فندريس : ((يجب أن لا نهمل من حسابنا عند دراسة الاسباب الاجتماعية التي تؤدي الى تجديد المفردات نوع النشاط الذي يمارسه المتكلمون؛

---

(١) انظر : من اسرار اللغة : ١٢٢

(٢) أنظر: من اسرار اللغة : ١١٩.

فالكلمات التي تنتمي الي نشاط المجموعات الاجتماعية (عقليا او يدويا) يطلق عليها كلمات الحضارة. كلما تحقق اي تقدم في الصناعة الإنسانية ترجم عن نفسه باستعمال آلات وإجراءات جديدة يقابلها خلق كلمات جديدة بقدرها))[١].

والمنهج الأخر الذي له علائق وشيجة بالتأريخ وعلم اللغة التأريخي هو ما اصطلح عليه بعلم اللغة المقارن (Comparative Linguistics)[٢]. ويعد هذا المنهج وليد المنهج التأريخي لأن مباحثه كانت مختلطة به الى أن انفصل عنه وكون منهجه المختص به على الرغم من بقاء المنهجين أحدهما يعتمد على الأخر في كثير من المباحث. قال فندريس: ((ليس المنهج المقارن إلا امتدادا للمنهج التاريخي في أعماق الماضي السحيق وينحصر في نقل منهج التفكير الذي يطلق على العهود التأريخية الى عهود لا نملك عنها أية وثيقة))[٣].

والأسس المنهجية المعتمدة في علم اللغة المقارن تقوم على مقارنة مجموعات من اللغات القديمة والكشف عن العلائق والصلات بينها للوصول الى اللغة الأم التي تفرعت منها هذه اللغات ولم تصلنا مادتها أو أية وثيقة

---

(١) اللغة : ٢٨٣.

(٢) معجم مصطلحات علم اللغة الحديث : ١٨

(٣) اللغة : ٣٧.

تشير إليها: فعلم اللغة المقارن بهذا المفهوم يحاول من مقارنة اللغات الوصول الى وصف اللغة الأم ولو على نحو تقريبي، وهذا من شأنه أن يتعامل مع لغات قديمة ثبتت صحتها ووصلتنا أشكالها، ولذلك كله فقد كان علم اللغة المقارن في القرن التاسع عشر ((يعني تماما علم اللغة التأريخي))[١]، ولكن جذور هذا المنهج تمتد الى أبعد من ذلك، فقد مهد الكشف عن اللغة السانسكريتية وحل رموزها عن مدى التقارب والترابط بين اللغات الهندية الايرنية واللغات الإغريقية واللاتينية والجرمانية ما ادى الي ظهور (علم القواعد التأريخية والمقارنة)[٢] واهتدى علماء اللغة الى أن اللغات يمكن مقارنتها بعضها ببعض ويعد ذلك بداية لفقه اللغة المقارن ويعود الفضل الى إمكانية المقارنة بين بعض اللغات الي ملاحظات المستشرق الانكليزي وليم جونز (W.Jons)، المتوفى سنة (١٧٩٤م) إذ أبدى ملاحظات يسيرة في هذه المسألة سنة (١٧٨٦م). غير أن الفضل الأكبر يعود فيما بعد الى فرانز بوب (Franz Bopp) فقد نشر في سنة (١٨١٦م) كتابه المسمى (في النظام الصرفي للسانسكريتية) قارن فيه السانسكريتية بالألمانية والإغريقية وغيرهما، والمبدأ المهم الذي توصل إليه بوب وهيأ به لظهور علم اللغة المقارن فيما بعد انه ادرك ((ان مقارنة

---

(١) أسس علم اللغة : ٥٨.

(٢) علي عبد الواحد وافي : علم اللغة : ٤٩.

اللغات التي تنحدر من أصل واحد يمكن ان تصبح موضوعا لعلم مستقل بذاته: فلم يسبق لإحد ان قام بتفسير لغة باللجوء الى لغة اخرى وتوضيح صيغ لغة ما بالاعتماد على صيغ لغة أخرى))[1].

واستقر المنهج المقارن في أواخر القرن التاسع عشر بعد الكشف عن اللغة السانسكريتية وحل رموز حجر رشيد الذي هيأ للدراسات المقارنة في شعبة أخرى من اللغات القديمة وهي اللغات السامية وكشف العلماء عن رموز لغة وادي الرافدين القديمة وهي اللغة السومرية التي دونت على ألواح من الطين، ومنها تمكنوا من فك الكتابات المسمارية التي دونت بها اللغات الأكادية. وكان ذلك كله قد جعلهم يفكرون في إعادة صيغ اللغة الأم التي دلت الدراسات على أن مجموعتي اللغات الهندية الأوربية والسامية قد انحدرت منها. وكانت العناية في بادئ الأمر منصبة على اللغات الهندية الأوربية اذ دلت الدراسات المقارنة على ان لغات قديمة كالسانسكرينية واليونانية القديمة و اللاتينية والإيرلندية القديمة والسلافية القديمة والقوطية قد انحدرت من لغة واحدة غير مكتوبة ((امتدت فروعها من شمالي الهند الى أيسلنده، وشملت معظم أوربا وأقساما من جنوب غربي اسيا))[2].

---

(١) علم اللغة العام : ٢٠.

(٢) أسس علم اللغة : ٥٨.

واهم ما في المنهج المقارن هو وضع صيغ قديمة مأخوذة من مجموعة لغات يشك في وجود علاقة بينها. ويمكن أن نستنتج من مثل هذه المقارنة أمرين كما ذكر ماريوباي[١] .

احدهما : ((درجة الصلة بين عدة لغات وضعت تحت الفحص إذا كانت هناك أي صلة)) .

والآخر: ((الشكل الذي يبدو أقرب صلة الى اللغة الأم التي وجدت في الماضي والتي تعد الأصل المشترك لهذه اللغات ومنها انشعبت جميعها)).

والمخطط الآتي[*] يوضح لنا علاقات اللغات المنحدرة من أصل واحد مشترك ومدى اهمية الصيغ المبكرة ذات الشواهد والصيغ الحديثة للاستدلال على ذلك : ملاحظة: كلما سرنا الى الخلف من حيث الزمن تبدأ بعض الفروع بالتداخل .

---

(١) أسس علم اللغة : ١٦٨.

* نقل هذا المخطط من كتاب ماريوباي (أسس علم اللغة) : ص١٦٩.

الأصل المشترك

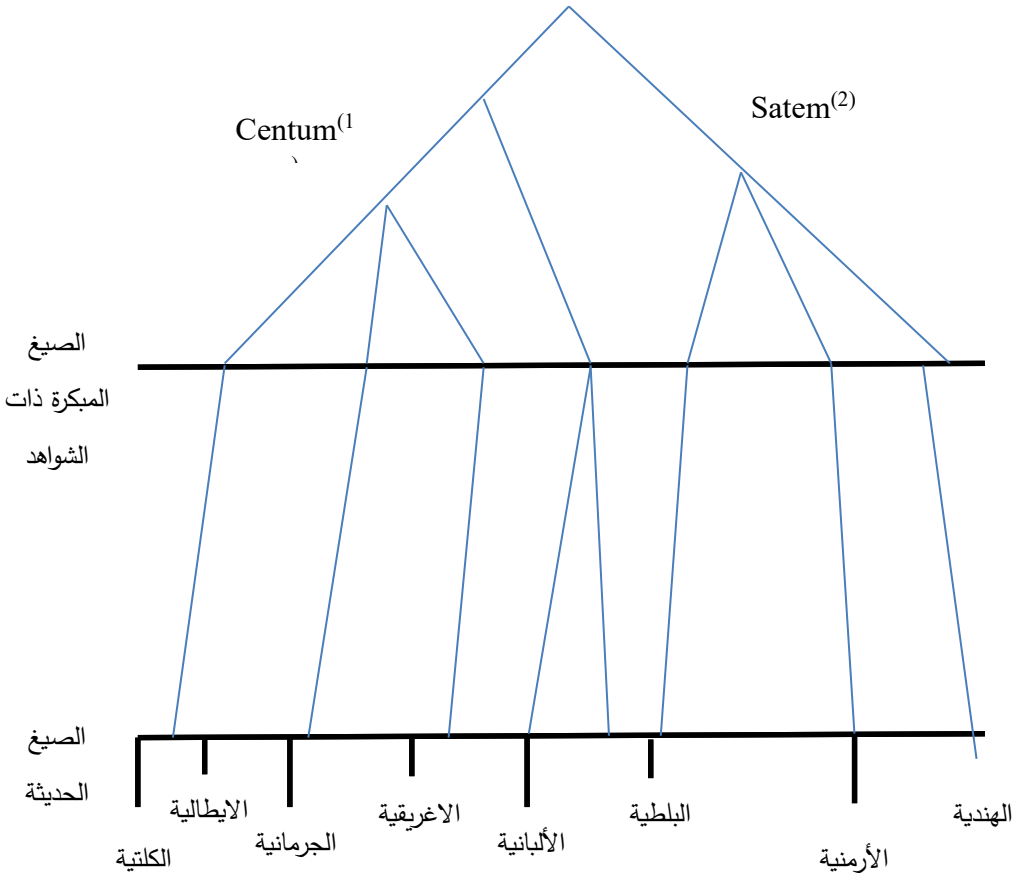

(١) Centum : مصطلح يطلق على اللغات الهندية الاوربية التي لم تتحول اصواتها الوقفية (الانفجارية) الطبقية مثل (g,k) الى غارية او لثوية.

(٢) Satem: يطلق هذا المصطلح على اللغات التي تحولت بعض اصواتها الوقفية (الانفجارية) الطبقية الى احتكاكية غارية او لثوية.

انظر: أسس علم اللغة : ص١٦٩.

إن من أهم ما افرزته الدراسات اللغوية المقارنة ما اصطلح عليه بـ(الأُسر اللغوية) إذ توزعت اللغات على أساس القرابات اللغوية فيما بينها. وتوفرت لعلماء اللغات في هذا المجال دراسات دقيقة وأثبتوا بالاعتماد على الوثائق المكتوبة وغيرها ومقارنة الصيغ والألفاظ والبني النحوية الاساسية مقدار الشبه والقرابة بين مجموعات من اللغات. قال ماريو باي: ((إن اهم ما نتج عن المنهج المقارن هو تصنيف اللغات وربطها بسلسلة نسبية على اسس تاريخية))[١]. وأبدى فندريس إعجابه بتجديد القرابة اللغوية بين هذه المجموعات قائلا: ((من حسن الحظ أن معظم لغات الارض ولاسيما اللغات الثابتة التاريخ قد أمكن تحديد قرابتها بدقة مدهشة؛ حيث نجح العلماء في تكوين عائلات لغوية كبيرة... نعم، قد تكون صلات القرابة داخل كل أسرة موضعا للجدل من جهة التفاصيل في بعض الأحيان ولكن المبدأ الذي تقوم عليه لا يقبل الريب))[٢].

وتصنيف اللغات (Classification Languages)[٣] على اساس القرابة اللغوية تصنيف تاريخي هدفه الرجوع الى الأصل. ولعلماء اللغات تصنيفان

---

(١) أسس علم اللغة : ١٧٢.

(٢) اللغة : ٣٨٣.

(٣) معجم مصطلحات علم اللغة الحديث : ١٩.

اخران[١]، أحدهما: التصنيف الذي يعتمد على وسائل بناء الكلمات وتوليدها، ويعرف بـ(الطريقة التشكيلية) وهي وصفية محضة، والآخر: تصنيف يعتمد على المعيار الجغرافي كتقسيم اللغات على القارات والأقاليم، كاللغات الأسيوية واللغات الإفريقية واللغات الأوربية، وقد وصفت هذه الطريقة بأنها (غير علمية).

ويتطلب التصنيف على أساس الوشائج والقرابات اللغوية (genetic classification)[٢] دراسة لغوية تربط مجموعات اللغات بأصل معروف او مفترض ، وتبدو هذه التقسيمات واضحة تحتمل الصواب لانها تستند الى معايير لغوية تاريخية على الرغم من انعدام وسائل الإثبات أحيانا.

ويثار في هذا الموضوع ما يسمى بـ(اللغة الأم) المفترضة التي تنحدر منها مجموعاتها. ويتطلب ذلك معرفة (الأقدم) من اللغات، والسؤال المهم – هاهنا– هو ما المقصود باللغة الأقدم؟ قال دي سوسير: ((...وهذا يدفع بالمرء الى السؤال: ماذا يقصد بالقول إن لغة ما أقدم من الأخرى؟))[٣]، ويجيب عن هذا السؤال بثلاثة أوجه للتفسير النظري[٤]:

---

(١) انظر: أسس علم اللغة : ٥٦ .

(٢) معجم مصطلحات علم اللغة الحديث :٣١.

(٣) علم اللغة العام : ٢٣٧.

(٤) علم اللغة العام : ٢٣٨.

الاول: ((قد تشير لفظة الأقدم الى البداية، الى النقطة التي تبدأ منها لغة ما، ولكننا لا نحتاج إلا الى قليل من التفكير لندرك أن اللغة أية لغة- لا يمكن ان ينسب إليها عمر معين، فكل لغة هي استمرار لما كان يتكلم به الناس من قبلها؛ فالذي ينطبق على البشرية لا ينطبق على اللسان، فالاستمرارية المطلقة للسان لا تسمح بتمييز اجيال منه)) .

والثاني: ((قد تعني لفظة (أقدم) أن إحدى الحالات للغة التي ندرسها أقدم من الحالة الأخرى للغة نفسها)).

والثالث: ((قد تشير لفظة (أقدم) الى حالة لغوية أكثر توغلا في القدم، أي الى حالة صفات تقترب من صفات النموذج الأصلي دون الأخذ بنظر الاعتبار التواريخ)).

ويخلص من هذه الأوجه الثلاثة الى أن السانسكريتية ليست (أقدم) اللغات في الأسرة الهندية الأوربية إلا بالمفهومين الثاني والثالث.

وسواء أكانت السانسكرينية تمثل لنا الحالتين الثانية أم الثالثة فقد تبنى علماء اللغة بعد مقارنة المجموعات المنضوية معها ابتداء من الفارسية القديمة ولغة الأوستا وانتهاء الى مجموعة اللغات الرومانسية التي تعود الى الأصل اللاتيني والسلافية واليونانية القديمة والألبانية والأرمنية...الخ منهجاً ينظر في المراحل التأريخية للغات او اللغة الواحدة وصولاً الى

أنموذجها الأقدم. وبذلك تبين لهم أن السانسكريتية تعد الأقدم والأقرب الى اللغة (الأم).

والاستدلال على القرابة اللغوية يحتاج الى مزيد من البحوث والمقارنة والاستفادة من مادة اللغات نفسها والوثائق والشواهد إذا كانت تلك اللغات مكتوبة مدونة؛ فليس الأمر سهلا ميسراً لأن القرابة اللغوية مسألة نسبية وهي تعتمد على أمور أهمها[1]: ((وفرة الأدلة اللغوية التي تكون بعد ان يشهد لها التاريخ السياسي او الاجتماعي- مجموعة لها قيمتها من البراهين)) ، وثراء القواعد النحوية وتنوعها في اللغات المجهولة التأريخ، وينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار اضطراب ((القرابة في داخل الأسرة الواحدة نتيجة لتأثير اللهجات بعضها في بعض)).

وفي اللغات عناصر قديمة يمكن الاستفادة منها في المقارنة بينها لمعرفة فصائلها اللغوية التي تنتمي إليها كالضمائر وأسماء الإشارة والموصولات والأعداد[2]...الخ، وهذه العناصر عصية عن التغيير والتبديل إلا نادرا، وينجلي ذلك على نحو لا يقبل الشك في اللغات السامية؛ فالضمائر وأسماء

---

(١) انظر: اللغة : ٣٨٢.

(٢) من أسرار اللغة : ١١٢.

الأعداد وأسماء الإشارة والموصولات تدل على أنها من أصل واحد، يضاف إليها بعض الألفاظ الأساسية كألفاظ الطبيعة وأسماء الحيوان والنبات...الخ.

ويقتضي في حال إعادة بناء لغة ما أو اللغة الأم وتركيبها ولو على نحو قريب من الأصل المفترض وجوده أن نتبع الخطوات الآتية[1]:

١. ((أخذ عينات مختلفة من التركيبات النحوية وخصوصا المتطابق منها)).

٢. أخذ نماذج من المفردات اللغوية.

٣. أخذ نماذج ((من الفونيمات التي تأخذ دورا بارزاً في الكلمات المتقابلة في مختلف اللغات)).

---

(١) انظر: أسس علم اللغة : ١٧١.

المصادر

٠١ إبراهيم أنيس:

من أسرار اللغة –مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة .١٩٧٢

٢. باي (ماريو):

أسس علم اللغة –ترجمة احمد مختار عمر– منشورات جامعة طرابلس (ليبيا) كلية التربية .١٩٧٣

٣. دي سوسير (فرديناند):

علم اللغة العام –ترجمة يوئيل يوسف عزيز– دار افاق عربية– بغداد ١٩٨٥

٤. علي عبد الواحد وافي:

علم اللغة –دار نهضة مصر– القاهرة ١٩٦٧

٥. فندريس (ج):

اللغة –ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص– مطبعة لجنة البيان العربي– القاهرة ١٩٥٠

٦. نخبة من اللغويين العرب:

معجم مصطلحات علم اللغة الحديث دار لبنان– بيروت ١٩٨٣

المبحث السادس

معالم من علم اللغة الاجتماعي

في تراثنا اللغوي

التعريف بعلم اللغة الاجتماعي:

يعد علم اللغة الاجتماعي (Social Linguistics) أو (Socio Linguistics)[١] من المناهج الجديدة في علم اللغة الحديث. وهو فرع من علم اللغة التطبيقي تتناول مباحثه ((مشكلات اللهجات الجغرافية واللهجات الاجتماعية والازدواج اللغوي والتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع))[٢].

ووفاقا لهذا التقسيم تتألف مبانيه الأساسية من أربعة محاور:

١-اللهجات الجغرافية. ٢-اللهجات الاجتماعية. ٣-الازدواج اللغوي.٤- التأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع، أو بعبارة أخرى العلاقات المتبادلة بين اللغة والمجتمع.

ولابد من توضيح هذه المحاور من حيث المصطلح المتداول في مباحث علم اللغة الحديث لكي يتضح لنا المقصود بعلم اللغة الاجتماعي.

وتُعرف اللهجة الاجتماعية بأنها ((لهجة مشتركة بين أناس متشابهين في مستواهم الاجتماعي وهي تختلف عن اللهجة الجغرافية))[٣]. وتطلق على الاستعمال اللغوي ولاسيما الاصطلاحي للطبقات الاجتماعية كالمثقفين

---

(١) نخبة من اللغويين العرب: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث:٦٤.

(٢) محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري: ٢٦١.

(٣) معجم علم اللغة النظري : ٢٦١.

وأصحاب المهن والحرف والطبقات الدنيا في المجتمع كطوائف المحتالين واللصوص والمشعوذين...الخ.

أما اللهجة الجغرافية فهي ((لهجة يختص بها إقليم ما أو قطر ما ضمن عدة أقاليم أو أقطار تتكلم لغة واحدة. وتمتاز اللهجة الجغرافية عن سواها من اللهجات الجغرافية ببعض ((التراكيب والمفردات والألوفونات[١])، وقد يمتد الفرق الى طريقة التنغيم و النبرات))[٢].

ومن قبيل اللهجات الاجتماعية ما عرف في الحواضر العربية القديمة كبغداد والبصرة والكوفة والقاهرة من ألفاظ مولدة مستجدة كانت شائعة عند العامة من الناس، ومن قبيل اللهجات الجغرافية اللهجات العربية القديمة التي كانت شائعة في الجزيرة العربية وما والاها سواء أكانت في الحواضر أم في البوادي.

---

(١) الألفون (allophone) هو ((عضو الوحدة الصوتية)). انظر: معجم علم اللغة الحديث ص٧. ويطلق علية ايضا ((المتغير الصوتي)) وهو ((صوت كلامي حقيقي يشكل مع أصوات أخرى تماثله عائلة واحدة مجردة تسمى فونيما)). معجم علم اللغة النظري: ص ١١.

(٢) معجم علم اللغة النظري : ١٠٦.

ويطلق مصطلح (الازدواج اللغوي)[١] أو (لغة مزدوجة) (diglossia) على اللغة المستعملة ((على مستويين في مجتمع واحد، مستوى فصيح وأخر عامي، مثل اللغة العربية))[٢]. وبعد أن اتضحت لنا مفاهيم اللهجة الجغرافية واللهجة الاجتماعية والازدواج اللغوي يمكننا التعريف بعلم اللغة الاجتماعي على أنه ((دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع))[٣] إذ إن العناصر التي تكوّن هذا المنحى او المنهج الدراسي عناصر اجتماعية محضة، وينبغي للباحث في هذا الميدان أن يعول على جانبيين، أحدهما: تنظيري يعنى بالنظرية مجردة عن الواقع العملي، والآخر: تطبيقي ميداني يعنى بجمع المادة من واقع الاستعمال اللغوي. قال هدسن: ((ينقسم علم اللغة الاجتماعي...الى جزءين، الجزء الاختباري [العملي] والجزء النظري. وأعني بالأول الجزء الخاص بالخروج الى الميدان لجمع المادة العلمية، وبالثاني الجزء الخاص بالخلوّ الى هذه الحقائق المتجمعة والتفكير فيها وتمحيصها))[٤].

ويترتب على هذا المفهوم أن أهم ما في علم اللغة الاجتماعي الجزء المتعلق بالتطبيق العملي ولذلك يشير مصطلحه ((الى تطبيقات خاصة بوسائل بحث

---

(١) معجم مصطلحات علم اللغة الحديث: ١٩.

(٢) معجم علم اللغة النظري : ٧٥.

(٣) هدسن : علم اللغة الاجتماعي: ١٦.

(٤) علم اللغة الاجتماعي: ١٧.

مستخدمة في علم اللغة والعلوم الاجتماعية وبنتائج مستخلصة منها جميعا لدراسة اللغة في مجتمع معين))[١]. وتكمن قيمته المتوخاة من تطبيقه على دراسة لغة ما ((في قدرته على إيضاح خصائص محددة للغة بعينها))[٢].

واختلف الرأي بين علماء اللغة المعنيين بالدراسات اللغوية الألسنية في التفريق بين علم اللغة العام وعلم اللغة الاجتماعي من حيث الوسائل والنتائج وفيما لو كان علم اللغة الاجتماعي منهجاً يضاف الى المناهج الأخرى ضمن علم اللغة العام.

واختصر لنا هدسن"[٣] رأي فريقين يرى الأول منهما التفريق بينهما وهو الرأي الشائع بين جمهرة العلماء والباحثين ويمثل المدرسة البنيوية كلها في علم اللغة، ويرى هؤلاء ((ان الاختلاف يكمن في أن علم اللغة لا يهتم إلا ببنية اللغة (Language Stricture) دون الاهتمام بالسياقات الاجتماعية (Social Context) التي تكتسب فيها اللغة وتستخدم. إن مهمة علم اللغة اكتشاف وتحديد قواعد أية لغة حتى يستطيع علماء علم اللغة الاجتماعي بعد ذلك أن يدرسوا نقاط هذه القواعد في مجتمع كما يحدث مثلاً عندما

---

(١) محمد حسن عبد العزيز : مدخل الى علم اللغة : ٩٠.

(٢) علم اللغة الاجتماعي: ٢٢.

(٣) انظر: علم اللغة الاجتماعي : ١٩ ،٢٠ .

يكون هناك عدد من بدائل التعبير اللغوي التي تستخدمها المجموعات الاجتماعية المختلفة للتعبير عن شيء واحد)).

ويرى الفريق الاخر أن الكلام سلوك اجتماعي، ويمثل فيرث (J.R.Firth) هذا الاتجاه، وهو مؤسس مدرسة لندن في علم اللغة؛ فقد ذهب الى ((أن للكلام وظيفة اجتماعية باعتباره وسيلة للاتصال وطريقة لتمييز المجموعات الاجتماعية المختلفة، وأن دراسة الكلام من دون الرجوع الى المجتمع الذي يتحدث به هو استبعاد لاحتمالات وجود تفسيرات اجتماعية للأبنية والصيغ المستخدمة في الكلام))، وقد تبنى هدسن هذا المذهب قائلا: ((...وسأحاول في هذا الكتاب أن أدافع عن الرأي القائل بأن اكتشافات علم اللغة الاجتماعي ذات صلة وثيقة بنظرية بنية اللغة، ومثل ذلك أهميتها بالنسبة الى قضية ماهية المعنى وقضية تحليل البدائل النحوية، وعلى ذلك فإنني افضل أن أعتنق وجهة النظر الثانية التي ترى أن تجاهل علم اللغة للمجتمع يعد عملا خطيراً بالنسبة الى علم اللغة في حّد ذاته))[1].

ولاشك في أن القضايا الاجتماعية لها صلة سببية بكثير من الظواهر اللغوية على مستويات تحليلها الى عناصرها الأساسية (الأصوات والصرف والتركيب والدلالة)، ولما كانت اللغة أمثل وسيلة للاتصال وأرقى العلامات والاشارات

---

(١) علم اللغة الاجتماعي : ٢١.

بين أفراد الجماعات الانسانية اتضح مدى أهمية العوامل الاجتماعية في فهم الظاهرة اللغوية وتحليلها وتفسيرها واتخاذ ذلك منهجاً من مناهج الألسنية الحديثة. ومن العسير الفصل بين تحديد قواعد لغة ما باتباع سبل المناهج التركيبية في علم اللغة وبين مفاهيم الظواهر الاجتماعية ذات الصلة الوثيقة باللغة والمواقف الكلامية المختلفة.

وتعود الأسباب الموجبة للاهتمام بعلم اللغة الاجتماعي في العقد الأخير من القرن العشرين الى الدراسات العملية الميدانية التي أنجزت في هذا المجال، ولذلك استبعد هدسن (انجازات التنظير) سببا للعناية بهذا المنهج فقال: ((إن السبب الفعلي لزيادة الاهتمام بعلم اللغة الاجتماعي في العقد الأخير يرجع الى الاكتشافات الميدانية التي تحققت من خلال الأبحاث والدراسات المنهجية التي أجريت حديثا، ولا يعود الى إنجازات التنظير التي تستند الى المنهج النظري، وقد أجريت بعض هذه الأبحاث في مجتمعات (غريبة ونائية) مما أدى الى اكتشافات وحقائق قد يجدها الكثير من القراء غريبة ومثيرة لأنها تختلف اختلافا كبيرا عن نظائرها في المجتمعات التي يعرفونها))[1].

---

(١) علم اللغة الاجتماعي : ١٧ ، ١٨.

العلاقة بين اللغة والمجتمع :

العلاقة بين اللغة والمجتمع علاقة سببية بمعنى أن ظهور اللغات في تأريخ الجنس البشري مقترن بظهور أولى الجماعات البشرية التي ائتلفت فيما بينها وكونت المجتمعات الكبيرة، من الأسرة الصغيرة الى الجماعات التي تربطها وشائج القرابة، الى العشائر والقبائل، الى الأمم والشعوب. ولا يمكن تصور مجموعة من البشر –وان صغرت– تفتقر الى لغة تتواصل بها وتتخذها وسيلة للتفاهم فيما بينها أو تعبر بها عن المشاعر والأحاسيس والأفكار الفردية والجماعية. ومهما تعددت نظم الاتصال كالعلامات والإشارات فلا تبلغ في أهميتها مبلغ اللغة، ولذلك نجد التفاعل المتبادل بين اللغة والمجتمع قديما قدم المجتمعات الانسانية ابتداء من أطوارها البدائية وانتهاء الى أطوارها المتجددة على مراحل التأريخ.

ولقد ولّد هذا التفاعل المتلازم وتناقل اللغات ما يدور في المجتمعات ((من نظم مختلفة وما يتصف به الأفراد في هذه المجتمعات من علم وثقافة ونظم اجتماعية مختلفة))[1].

ولا يمكن لباحث في تأريخ الحضارات أو في اللغات أو علم الاجتماع أو الانثروبولوجي الحضاري أن يغفل أو يتغافل عن تأثر الظواهر اللغوية

---

(١) رمضان عبد التواب : المدخل الى علم اللغة : ١٣٤.

بالظواهر الاجتماعية؛ فنشأة اللغات وانقسامها الى أسر لغوية منحدرة من أصول وما يطرأ على اللغات من قوة وضعف وما يظهر من تصارعها فيما بينها وما يتركه هذا الصراع من تأثير وتأثر بين اللغات الغازية والأخرى المغزوة والتغيرات التي تطرأ على البنى اللغوية في الأصوات والمفردات ومدلولات الألفاظ[1] وغيرها من

الظواهر اللغوية لأمثلة وشواهد على مدى تأثر اللغة بالظواهر الاجتماعية.

والوظيفة الاجتماعية للغة لا تقل أهمية عن الوظائف الأخرى المتمثلة بتوصيل الفكر أو التعبير عنه. قال المرحوم الدكتور محمود السعران موضحاً أهمية الوظيفة الاجتماعية للغة: "إن النظرية الكلاسيكية في اللغة تقوم على اساس (منطقي) أو (رياضي) أو (نفسي) أو (آلي) تؤدي الى اعتبار اللغة (مرآة) ينعكس عليها الفكر أو أداة عاكسة للفكر أو (مستودعا) للفكر المنعكس أو وسيلة لتجسيم الفكر أو التعبير عنه الى أشباه هذا، أي أن وظيفة اللغة عند أصحاب هذه النظرية هي (التفاهم) أو (توصيل الفكر) أو (التعبير عنه)، ولكن هذه النظرية لا تمكن من تحليل جميع أشكال السلوك الكلامي؛ فليس ثمة توصيل للفكر في أنواع كثيرة من الوظائف الكلامية... ولا توصيل للفكر في استعمال اللغة في (السلوك الجماعي) كالصلاة

---

(١) انظر: المدخل الى علم اللغة : ١٣٥.

والدعاء، وفي استعمال اللغة في المخاطبات الاجتماعية التي لا تستهدف غاية كلغة التحيات، وفي التلذذ بالأصوات واللعب بها... إن الأصح والأدق أن ننظر الى اللغة على أنها (وظيفة اجتماعية)، وعلى أنها طريقة من العمل ...))[١].

وغالبا ما تعكس اللغة الشؤون الاجتماعية العامة لشعب من الشعوب أو أمة من الأمم كالقضايا السياسية والتشريع والقضاء والأخلاق والتربية والفنون والعلوم والثقافة...الخ، ونجد آثار هذا الانعكاس في أصوات اللغة ومفرداتها والدلالة والقواعد والأساليب[٢].

ومن دلائل تأثير النظم الاجتماعية في الاستعمال اللغوي تفاوت اللغات في علاقات القرابة التي تربط الفرد بأسرتي أبيه وأمه[٣]؛ فالمجتمعات التي تنظر الى أسرة الأب بمنظار يتساوى من حيث الوشيجة والأهمية مع أسرة الأم تطلق كلمة واحدة على كل من (العم والخال) و(العمة والخالة) و(ابن العم وابن العمة) و (ابن الخال وابن الخالة) خلافا للنظم الاجتماعية التي لا تقر بالمساواة ولا تنظر بعين الأهمية الى أسرة الأم كنظرتها الى أسرة الأب، فمثل

---

(١) علم اللغة : ٧٩ .

(٢) انظر: وافي : علم اللغة : ٢٣٧.

(٣) علم اللغة : ٢٣٧ ، ١٣٨ .

هذه المجتمعات تختلف في لغاتها الكلمات التي تطلق على أسرة الأب عن الكلمات الدالة على أسرة الأم كاللغة العربية.

وللسياق الاجتماعي أهمية تبدو واضحة من خلال فهم اللغة ودراستها؛ فالدراسة التي تفتقر الى ربط هذا السياق بفهم لغة ما تتصف بالمحدودية وعدم الشمول. قال هدسن في معرض المقارنة بين علم اللغة العام وعلم اللغة الاجتماعي: ((...وقد حاولنا أن نظهر أن ليس هناك سوى القليل مما نستطيع أن نقول عن اللغة في معزل عن السياق الاجتماعي، وأن هناك الكثير مما يمكن أن نقوله عن اللغة في علاقتها بالمجتمع؛ فلو كان علم اللغة العام يتميز عن علم اللغة الاجتماعي بافتقاره الى المنظور الاجتماعي فإن علم اللغة العام سيصبح من ناحية موضوعه محدداً للغاية ونستطيع أن نؤكد أن دراسة اللغة دون الرجوع الى السياق الاجتماعي جهد لا يستحق العناء))[1].

ومن أمثلة السياق الاجتماعي للغة الدلالات الاجتماعية للألفاظ، ((فكل كلمة لها دلالة معجمية أو اجتماعية تستقل عما يمكن أن توحيه أصوات

---

(١) علم اللغة الاجتماعي : ٤٢.

هذه الكلمة أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالات الأساسية التي يطلق عليها الدلالة الاجتماعية))[١].

ونتيجة للدراسات الأنثروبولوجية والدراسات اللغوية ذات الصبغة الاجتماعية ظهرت المدرسة الاجتماعية الإنكليزية في علم اللغة يتزعمها (فيرث) متأثرة بآراء

مالينوفسكي (Bronislaw Malinowski) عالم الأنثروبولوجي البولندي الذي ذهب الى أن اللغة ليست وسيلة من وسائل توصيل الأفكار والانفعالات أو التعبير عنها ونقلها حسب ولكنها تؤدي وظائف غير التوصيل، إنها من حيث الممارسة ضرب من السلوك و العمل[٢].

وأهم ما توصل إليه فيرث في تحليل الظاهرة اللغوية وفهمها من حيث الأثر الاجتماعي ما يعرف اصطلاحا بسياق الحال (Context of Situation). وسياق الحال عنده ((نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، وهذا التجريد يقوم به اللغويون للوفاء بدراستهم)).

---

(١) دلالة الالفاظ : ٤٨.

(٢)انظر : السعران : علم اللغة : ٣١٠ .

ويشمل أنواع النشاط اللغوي كلاماً وكتابة، وهو في جملته العناصر المكونة للموقف الكلامي، وأهمها[١]:

١. التكوين الثقافي للمتكلم والسامع ومن يشهد الحدث الكلامي.

٢. العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك لمن يشارك في الموقف الكلامي.

٣. أثر النص الكلامي في المشتركين.

ويظهر السياق الاجتماعي للغة على نحو مخصوص في دلالة الألفاظ ولاسيما المعاني غير الوظيفية التي تعتمد على السياق اللغوي وسياق الحال، والتغيير الطارئ على معاني الألفاظ يتخذ بعده الاجتماعي من خلال السياق الاجتماعي للغة ((...فدراسة الألفاظ ودلالاتها على نحو دقيق لا تتم إلاّ في إطارها الاجتماعي والحضاري، والتغير اللغوي لا يفسر تفسيراً كاملا إلاّ في ضوء الظروف الحضارية والاجتماعية. والى جانب هذا تؤثر المواقف الاجتماعية من مستويات اللغة في مكانة هذه المستويات وتحدّد مسار التغير فيها))[٢].

---

(١) محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية : ٥١ .

(٢) انظر: السعران : علم اللغة : ص ٣١٠ وما بعدها.

وتنظر بعض المناهج اللغوية التقليدية ومنها المنهج المعياري في النحو العربي الى الدلالة على أنها مقاسمة بين اللفظ ومعناه، أي مقابلة بين الشكل والمضمون.

وهذا الضرب من التحليل لا يوصل الى فهم المعنى كما ينبغي ولابد من ربطة بعناصر غير لغوية لها دخل كبير في توضيحه، وهذا ما تتوافر عليه الدراسة الاجتماعية للغة. قال السعران: ((إن الدراسة الاجتماعية للدلالة تبعد بطبيعتها عن الثنائية التقليدية، ثنائية الجسد والروح أو الكلمة والمضمون إنها تعد الكلام نوعاً من السلوك الاجتماعي ذا علاقة بعناصر أخرى غير لغوية))[١].

والتغير الدلالي الحاصل للمعني ذو علاقة سببية بتغير الميول الاجتماعية، ولذلك نلاحظ أنه أوضح من التغير الصوتي[٢] الحاصل للوحدات الصوتية في الكلمات.

وللعلاقة بين اللغة والمجتمع ظواهر لغوية عديدة نجتزئ بأهمها:

فمنها تعدد الاستعمال الذي يؤدي الى استحداث كلمات مختلفة تطلق على معنى واحد تبعا لاختلاف الطوائف الاجتماعية؛ فقد ذكر فندريس[٣] –على

---

(١) انظر: علم اللغة : ٣١٣ .

(٢) السعران : علم اللغة : ٢٨٠.

(٣) اللغة : ٣١٣.

سبيل المثال- أن العديد من الكلمات تستعمل في الفرنسية وتطلق على النقود، وتختلف هذه الكلمات باختلاف الطوائف الاجتماعية كأجرة الخادم و(مرتب) الموظف و (مرتب) الضابط و(مرتب) الجندي وما يتقاضاه الموظف غير الحكومي وأجرة الطبيب أو المحامي وأجر صاحب الوظيفة العامة وأجر العاملة وأجر من يتقاضى أجره في اليوم ودخل صاحب الدخل الثابت وأرباح الأسهم المالية والمكافأة البرلمانية و(مرتب) الصحفي وعوائد القسيس وأجر الممثل وما يتصدق على الفقير.

ومنها انتقال المعاني بين المجاميع اللغوية كانتقال المصطلحات المهنية والفنية المستعملة في مجموعة لغوية بمعانيها الجديدة الى اللغة المشتركة أو العكس. قال أولمان: ((إن كثيراً من كلمات الاصطلاحات المهنية والفنية قد تجد طريقها الى اللغة المشتركة وتنفذ إليها والعكس بالعكس. وبهذه الطريقة ذاتها تنتقل معاني الكلمات من مجموعة لغوية الى أخرى؛ فقد يحدث أن تستعمل إحدى البيئات الفنية الخاصة كلمة عادية في معنى جديد ذي صبغة فنية خالصة وربما يتبع ذلك دخول هذا المعنى الجديد الى اللغة المشتركة))[1].

---

(١) انظر: اولمان: دور الكلمة في اللغة : ١٨٦.

وعادة ما تتسم اللغات أو اللهجات بسمات وخصائص تمثل بيئاتها الاجتماعية؛ فاللغة في البيئات الحضرية لها سمات تختلف عن اللغة في البيئات البدوية، ولذلك نجد اللغة في المجتمع البدوي تتصف بجملة صفات، منها[1]:

١. **أنها ((محدودة الألفاظ والتراكيب والخيال ليست مرنة ولا تتسع لكثير من فنون القول)).**
٢. **تكثر فيها المفردات الدالة على الأشياء المحسوسة والأمور الجزئية، وتقل فيها المفردات الدالة على المعاني الكلية.**
٣. **تخلو مدلولات الكلمات من الدقة ((ويكثر فيها اللبس والإبهام، وهي غالبا لا تعبر إلا عن ضرورات الحياة اليومية، ولذلك كانت جملها قصيرة وروابطها قليلة)).**

ومن ظواهر العلاقة بين اللغة والمجتمع أثر الفوارق بين طبقات المجتمع في الاستعمال اللغوي كصيغ مخاطبة الفرد: (أرجو أن تتفضلوا... أو إجراء الخطاب بصيغة الإخبار عن الغائب: (يتفضل سيدي)[2]. وتكثر مثل هذه الصيغ التأدبية في المجتمعات التي تظهر فيها الفوارق الطبقية على نحو ملحوظ، وربما تتخذ منحى رسميا من باب التأدب والاحترام، يضاف الى ذلك

---

(١) انظر، المدحل الى علم اللغة : ١٢٨.

(٢) وافي: علم اللغة : ٢٣٨.

أن مثل هذه الصيغ تكون مستساغة في المجتمعات ذات التقاليد النمطية أو ما يعبر عنه بـ(المجتمعات الراقية).

ومن الظواهر أيضأ انقراض الكلمات وتركها وهجرها لعدم استقرار التقاليد وأنماط السلوك وفاقا لقانون (التضاؤل التدريجي)، فغالبا ما تترك كلمات ذات سياقات معينة كأساليب المبالغة والكلمات ذات المعاني البيئية الخاصة و الشعارات المذهبية لتحل محلها كلمات منافسة لها أقوى منها[١]. وقريب من هذا ما تتعرض له الكلمات من الابتذال لأسباب سياسية واجتماعية وعاطفية وغيرها ككثرة الاستعمال ويستعاض عنها بكلمات ((تمت إليها بسبب من الأسباب وتعبر عن نفس الدلالات في أناة ورفق لا يفزع منها السامع أو يتشاءم لأنها تغطي الدلالة بغلالة رقيقة تقلل من وضوحها وتحدّ من تأثيرها في الأذهان))[٢].

وقد تضعف دلالة طائفة من الألفاظ او تنحط فتفقد أثرها في الذهن واحترامها في المجتمع. وهذا الضعف العارض أو الانحطاط أكثر شيوعا في التغير اللغوي من الرقي الدلالي[٣]، وأغلب الألفاظ التي يعرض لها ذلك ألفاظ لها

---

(١) انظر، دور الكلمة في اللغة : ١٩١ ، ١٩٠.

(٢) دلالة الالفاظ : ١٤٣.

(٣) انظر: دلالة الالفاظ : ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨.

علاقة بالجنس والتمييز الطبقي كالألقاب والألفاظ التي تثير الخوف والخجل في المجتمع[١].

ومن القضايا ذات العلاقة بالاستخدام اللغوي ما يعرف (بالموقف الكلامي)، وهو مرتبط بسياق الحال؛ فكثيراً ما تستبدل ألفاظ مكان أخرى لدفع الحرج في موقف ما، وفي تراثنا الأدبي نظائر من هذا القبيل نكتفي بمثال واحد؛ فقد ذكر ((أنّ مغنية كانت تغني بين يدي المهدي ، فغّنت :

ما نقموا من بني أمية إلا[٢] . أنهم يسفهون إن غضبوا

فقيل لها: غلطت في شيء تخلصت به: فقالت: لا والله ما غلطت وإنما بدأت بالبيت وعرفت غلطي بغنائي فيه فاستدركته وأصلحته بما سمعتم ولم أرجع عنه ولم أورده على وجهه فيثقل على المهدي سماعُه)).

وأصل البيت:

ما نقموا من بني أمية إلا[٣] أنهم يحلمون إن غضبوا

---

(١) انظر: السعران : علم اللغة : ٢٨١.

(٢) غرس النعمة الصابئ:/ الهفوات النادرة: ٢٤ .

(٣) يطلق مصطلح (Taboo) في علم اللغة الحديث على (الكلام المُحرَّم) ، ويعني ((كلمات أو عبارات محرمة أو مُحرجة)) أو ((جملة قولها يسبب لقائلها حرجا اجتماعيا)). معجم مصطلحات علم اللغة الحديث: ٩٣، ومعجم علم اللغة

وتعد ظاهرة (اللامساس)[١] من أهم الظواهر اللغوية ذات العلاقة بالمجتمع، وخلاصة ما في هذه الظاهرة استبعاد ألفاظ يسبب ذكرها خوفا ونفرة في مجتمع ما أو أن تكون من الكلمات المقدسة التي ينبغي عدم التلفظ بها، أو تترك دفعا للحسد والشر أو أن ذكرها يخدش الحياء...الخ؛

فعدم المساس بمثل هذه الألفاظ التي تتضمن ما ذكرناه آنفا والاستعاضة عنها بألفاظ أخر ضرب من ضروب حسن التعبير، (وحسن التعبير وسيلة مقنعة بارعة لتلطيف الكلام وتخفيف وقعه)[٢].

ولا تقتصر هذه الظاهرة على المجتمعات البدائية وإنما تعم البيئات الاجتماعية والحضارات على اختلافها[٣]. قال فندريس موضحا الأسباب الاجتماعية ومراعاة اللياقة في تغيير بعض الكلمات: ((الأسباب الاجتماعية واضحة جدا في تغير الكلمات مراعاة للياقة، إذ ليس من اللائق أن يتكلم في أحد المجتمعات عن أفعال معروفة بالفظاظة أو بأنها مما يجرح الحياء،

النظري:٢٨٢.وترجم هذا المصطلح= =في العربية الى كلمات، منها: (الحظر) و (المنع) و (التحريم) و (المُحرَّم) و (التلطيف في التعبير) . وأغلب المترجمين العرب والباحثين ترجموا المصطلح بكلمة (اللامِساس).

(١) دور الكلمة في اللغة:١٧٧ .

(٢) دور الكلمة في اللغة : ١٧٧.

(٣) دور الكلمة في اللغة : ١٧٤.

وتستبعد الألفاظ التي تعبر عنها من بين المفردات التي يستعملها الأشخاص المهذبون؛ فللتعبير عن هذه الأفعال عبارات متنوعة تبقى مستعملة حتى تصير بدورها خشنة وجارحة للأذن))[١].

وقد يصار الى (تشويه) طائفة من الكلمات المستعملة في اللغة تتضمن (اللامساس) بتغيير حرف من حروفها او نقله من مكانه الى مكان آخر في الكلمة تخفيفا لما تدل عليه من معان لا ينبغي التصريح بها. ولا تفقد هذه الكلمات (المشوهة) قيمتها الدلالية[٢]. وتبقى مفهومة من حيث المقصود والمراد.

وقد يقوي عامل اللامساس من شدة (الحساسية) تجاه الألفاظ التي تتضمن هذا العامل، فيؤثر في كلمات أخرى معتادة فيحظر استعمالها لمجرد التشابه الجزئي بينهما[٣].

---

(١) اللغة : ٢٨٠.

(٢) انظر، اللغة :٢٨٢ .

(٣) انظر: دور الكلمة في اللغة : ١٧٩.

ومن جملة العوامل في زيادة المترادفات توليد اللغات ألفاظا لتخفيف ((صدمة الموت ووقعه على النفس)) ويعود ذلك الى قانون (الاستهلاك بكثرة الاستعمال)[١].

وللعوامل النفسية والتقاليد الاجتماعية أهمية بالغة في حظر بعض الألفاظ كالتشاؤم من اليسار (الشمال) طرفا أو جهة إذ تنظر كثير من الشعوب الى جهة اليسار على أنها (جهة السحر) ولذلك استعاضت عن الكلمات الدالة على اليسار بكلمات وعبارات واستعارات غير مباشرة تتضمن معنى اليسار، وقد أشار فندريس[٢] الى أن العدد الأكبر من اللغات الهندية الأوربية احتفظت بكلمة واحدة دالة على اليمين في حين تعددت فيها الألفاظ الدالة على اليسار.

وأكثر تخويفا للنفوس تلك الألفاظ الدالة على الموت والأمراض والأشباح، وهي ألفاظ تثير الفزع والهلع فينفر المجتمع من التلفظ بها، وتستبدل بها ألفاظ أخرى لا تثير مثل هذه العوارض النفسية والنفور الاجتماعي[٣].

---

(١) دور الكلمة في اللغة :١٧٩.

(٢) اللغة :٢٨١ .

(٣) انظر، دلالة الالفاظ : ٤٢.

وفي تراثنا اللغوي ولاسيما كتب (الأضداد) أمثلة وشواهد على عوامل اللامساس التي تكون سببا في هجر كلمات والاستعاضة عنها بكلمات غيرها نذكر منها ما يأتي:

١. تسميتهم الصحراء (مفازة) تفاؤلا بالنجاة، وقولهم للملدوغ (سليم) تفاؤلا له بالشفاء: قال الاصمعي: ((وسّموا المَفَازة (مَفْعَلة) من فاز يفوز إذا نجا، وهي مهلكة...وأصل المفازة مهلكة فتفاءلوا بالسلامة والفوز، كقولهم للملدوغ سليم، والسليم المُعافى))[١].

٢. قولهم: (العَقُوق) للحامل والحائل تفاؤلاً لها بالحمْل.

((...وزعم بعض شيوخنا أنه يقال العقوق للحامل والحائل، قال أبو حاتم: أظن هذا من التفاؤل كأنهم أرادوا أنها ستحمل إن شاء الله))[٢].

٣. قولهم (قُرْحان) للذي مسّه القَرْح وللذي لم يصبه حصبة ولا طاعون، يستوي فيه الذكر والأنثى تطيراً لكي لا يَمسّه شيء من ذلك.

قال الاصمعي: ((ويقال: رجل قُرْحَانٌ للذي مسّه القَرْح، ويقال للبعير إذا لم يُعَرَّ قُرْحَانٌ على التطيّر، ويقال للذي لم يُصِبْهُ حَصْبَة ولا طاعون: رجل قُرْحَانٌ وامرأة قُرْحَانٌ)) [٣].

---

(١) الاضداد (ضمن ثلاثة كتب) : ٣٨.

(٢) الاضداد (ضمن ثلاثة كتب) : ١٣٨.

(٣) الاضداد (ضمن ثلاثة كتب) : ٥٧.

٤. يقال للإبل (نِهال) أي عِطاش تطيرا لكي لا تعطش:

(قال أبو زيد: الناهل في كلام العرب العطشان، والناهل الذي قد شرب حتى رَوِيَ...وقال الاصمعي:...وإبل نِهال أي عِطاش يتطيرون بها من العطش فيقولون: هذه إبل ناهلة)[١].

٥. قولهم للمُهْرَة الجميلة (شوهاء) وللغراب (أعور) دفعا للحسد:

((قال أبو عبيدة: مُهْرَةٌ شوهاء: قبيحة وجميلة، وقال أبو حاتم: لا أظنهم قالوا للجميلة شوهاء إلا مخافة أن تصيبها عين كما قالوا للغراب (أعور) لحدة بصره)) [٢].

اللهجات الاجتماعية:

اللهجة من حيث المصطلح اللغوي الحديث تطلق على ((مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي الى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة))[٣]، وهي بهذا المفهوم ((استعمال خاص للغة في بيئة معينة))[٤]. ولا تختلف كثيراً عن اللغة التي تفرعت منها إذ تحتفظ بكثير من علاقاتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية مع اللغة. وقد تبتعد عن

---

(١) الاضداد (ضمن ثلاثة كتب) : ٣٧.

(٢) الاضداد (ضمن ثلاثة كتب) : ١٣٧ .

(٣) ابراهيم أنيس: في اللهجات العربية :١٦ .

(٤) إبراهيم مدكور : مقدمة كتاب (لهجات العرب) لأحمد تيمور: ص٧.

أصلها بعداً يمنحها خلافات جوهرية من حيث البناء اللغوي فتنفصل عنها بعد مراحل زمنية طويلة لتؤلف لغة لها كيانها المخصوص بها.

وتتولد اللهجات عادة لأسباب جغرافية واقتصادية وسياسية واجتماعية، ولكن مثل هذه الأسباب غير لغوية، ولدينا أسباب أخرى لغوية تعمل على انتاج اللغات واللهجات ومنها اللغات الخاصة واللغات المشتركة، وتعود هذه الأسباب الى ما يسمى بـ(صراع التوازن)[1] وهو قانون تطور اللغات جميعا ويعد عاملا حاسما يتمثل بميلين ((متعارضين يوجهان اللغة في طريقين متباينين)) احدهما: ميل الى التفريق ينتهي الى (تفتت اللغة) نتيجة لزيادة الاستعمال، وتعمل على هذا التفتت الجماعات التي لا يحتك بعضها ببعض وينتهي الى (حرمان اللغة من قيمتها الجوهرية) وتفتقد خصوصية الإيصال والتفاهم بين الناس. والآخر: ميل الى التوحيد يعمل على حفظ التوازن. ونتيجة للصراع بين هذين الميلين تظهر اللغات واللهجات.

وسبق القول في مدخل البحث إن اللهجة الاجتماعية لهجة مشتركة بين أناس متشابهين في مستواهم الاجتماعي، وتتعدد بتعدد الطبقات الاجتماعية وتختلف عن اللهجة الجغرافية التي تطلق على إقليم ما أو قطر ما ضمن عدة أقاليم وأقطار تتكلم لغة واحدة؛ فاللهجات الاجتماعية نجدها بين طبقات

---

(١) انظر، فندريس: اللغة : ٣٠٧ ، ٣٠٨.

الناس ومهنهم وحرفهم وأعمالهم وتختلف باختلاف مستواهم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي فتتشعب لغة المحادثة في المنطقة الواحدة الى لهجات مختلفة تبعا لهذا الاختلاف فتظهر لهجة للطبقة الارستقراطية وأخرى للمثقفين وثالثة للجنود والبحارة ورابعة لذوي المهن والحرف باختلاف أعمالهم(١).

ويعرض للهجات الاجتماعية ما يعرض لغيرها من تغير وتطور وتبدل فيتسع نطاقها باتساع الناطقين بها واتصالهم بالطبقات الاجتماعية الأخرى واحتكاكهم بالأجانب الذين يتحدثون لغات مختلفة عن لغتهم وما يولدونه ويستحدثونه من ألفاظ ومصطلحات وعبارات وما يقترضونه من مفردات من لغات أخرى، فتتغير الأساليب وطرق التركيب تبعاً لاختلاف العصور وتغير الظروف الاجتماعية(٢).

وقد تنحرف اللهجة الاجتماعية عن أخواتها كلما زادت الفوارق بين الطبقات أو آثرت العزلة غير أنها تقاوم عوامل التغير والابتداع داخل منطقتها كلما ازدادت العلاقات التي تربط الناطقين بها، فيقوى بذلك (الضمير الجمعي) وتفرض النظم الاجتماعية والعادات والتقاليد سيطرتها ونفوذها لمنع التغيير والتبديل(٣).

---

(١) انظر: وافي: علم اللغة : ١٧٣ .

(٢) انظر: وافي: علم اللغة : ١٧٥.

(٣) وافي: علم اللغة : ١٦٤، ١٧٥.

والسؤال المهم الذي يجب أن يسأل هو: أ بالإمكان وضع حدود دقيقة تفصل بين لهجات اللغة الواحدة ولاسيما اللهجات الاجتماعية؟ الجواب كما ذكر أولمان: ((أنه من المستحيل أن نضع حدودا دقيقة بين لهجات اللغة الواحدة، فكل واحد منا ينتمي الى أكثر من مجموعة من هذه المجموعات اللغوية المتشابكة، ونحن حين ننتقل من مجموعة الى أخرى نحمل معنا الثروة اللفظية لكل منها))[١]؛ فالاقتراض الداخلي بين هذه اللهجات مستمر بين مجموعة وأخرى على المستويات كافة وبين اللغات المشتركة واللهجات الاجتماعية الخاصة أو العكس[٢].

وتظهر اللهجات الاجتماعية أكثر وضوحا وتمييزا في المدن الكبيرة لكثافتها السكانية وازدحام الناس فيها ونشاط الحركة الاقتصادية وتنوع الوظائف والأعمال والمهن والحرف[٣].

وتتأثر لغة المحادثة المعتادة باللهجات الاجتماعية فتستعير منها بعض التراكيب والمفردات وبخاصة ما يتعلق منها بفن أو حرفة أو عمل تزاوله الجماعات في البيئة اللغوية المشتركة[٤].

---

(١) دور الكلمة في اللغة :١٥٠.

(٢) دور الكلمة في اللغة : ١٥١.

(٣) انظر: وافي: علم اللغة : ١٧٦، ١٧٥.

(٤) انظر: وافي: علم اللغة ١٧٥.

وتعد اللغات الخاصة من أهم الظواهر اللغوية للهجات الاجتماعية، فهي تمثل فضلا عن التفاوت الطبقي اختلاف الأعمال والبيئات الاجتماعية التي تستعملها، قال أولمان موضحا هذا المعني: ((كل مجموعة إنسانية مهما صغرت لها لغتها الخاصة بها؛ فهناك في دائرة الأسرة والمكتب والمصنع ومطاعم الجنود تتوالد الكلمات والعبارات والمعاني الهامشية والألغاز وطرق التعبير الأخرى التي تختص بهذه البيئات والتي يصعب إدراكها على من لا ينتمي إليها. وهذا هو الشأن أيضا في المجموعات الأكبر والأوسع من تلك البيئات التي يربطها رباط المصالح المشتركة كالمهنة والحرفة والتجارة والانتماء الى مختلف فروع العلم والفن والصحافة والقوات المسلحة والكنيسة والهيئات الأكاديمية والرياضية...الخ فلكل من هذه المجموعات ثروتها اللفظية الخاصة بها، وهي ثروة تعكس الموضوعات والمناقشات التي يتناولها الأعضاء فيما بينهم وتسهل اتصالهم بعضهم ببعض))[1].

وأطلق فندريس على هذه اللغات الخاصة عبارة (العاميات الخاصة) وربطها بالجماعات ووصفها بالتنوع الذي لا يحد والتغير الدائم تبعاً للظروف، ثم قال: ((...فلكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة، فهناك عامية التلامذة الخاصة، وهي غير واحدة في كل المدارس بل تختلف أحيانا باختلاف الفصول في المدرسة الواحدة، وهناك عامية

---

(١) دور الكلمة في اللغة :١٥٠.

الثكنات الخاصة التي تختلف باختلاف الأسلحة بل باختلاف الثكنات أيضا، وهناك عامية الخيّاطات وعامية الغسّالات وعامية عمال المناجم وعامية البحّارين، وأخيرا هناك عامية الأشقياء))[1].

وسماها في موضع آخر بـ(اللهجات) و (اللغات) وتمثّل بالفرنسية في فرنسا وباللغات الخاصة في المجتمع الباريسي، وذكر فضلا عن اللغة الفرنسية الأدبية عدداً من اللغات الخاصة في باريس كلغة الصالونات الأدبية ولغة الثكنات العسكرية ولغة الأعيان من عِلْية القوم ولغة العمال ورطانة المحاكم والعامية الخاصة التي تتكلم في حواشي المدينة. ووصف هذه اللغات بأنها ((يختلف بعضها عن بعض الى حدّ أنه قد يعرف الإنسان إحداها دون أن يفهم الأخرى))[2].

ويجد الباحث في عدد من المصادر الأدبية العربية القديمة أمثلة وشواهد لما يعرف باللهجات الاجتماعية ولغة العامة من الناس ولاسيما مؤلفات الجاحظ الذي نقل لنا لغة أهل البصرة خاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين؛ ففي رسائله وكتابيه البيان والتبيين والبخلاء شواهد على ما درج عليه البصريون في هذه الفترة من كلمات وعبارات ومصطلحات متعلقة بمختلف شؤون الحياة الاجتماعية.

---

(١) اللغة: ٣١٥.

(٢) اللغة: ٣٠٦.

قال فك: ((ومن النفاسة بمكان ما ذكره الجاحظ عن اللهجات واللغات الخاصة وألسنة الحرف والمهن...ويذكر أمثلة لفرق ما بين مكة والبصرة في الاستعمال اللغوي، وفي كتابه البخلاء يسوق الجاحظ وصفا حياً للدوائر الأدبية في البصرة حوالي سنة ٢٠٠هـ ويعرض صورة غاية في الدقة من الوجهة اللغوية لأسلوب المحادثة بالبصرة في ذلك العهد))[١].

ومن أمثلة ما ذكره الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مما له صلة بهذا الموضوع: ((باب: أن يقول الإنسان على قَدْر خُلُقه وطبعه)[٢] وأورد ألفاظاً مخصوصة ببعض المهن والحرف كأُلْمرادِيّ والكَوْثَل والآريّ والإصطبل. قال: ((...وقلت لملاّح لي، وذلك بعد العصر في رمضان: انظر كم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الأرض؟ قال: أكثر من مُرْدِيّينِ ونصف. وقال آخر: وقع علينا اللصوص، فأول رجل داخل دخل علينا السفينة كان في طول هذا المُرْدِيّ))[٣].

---

(١) العربية : ١١٦.

(٢) انظر: البيان والتبيين : ١٧٥/٢، ١٧٦ .

(٣) المُرْدِيُّ: خشبة يدفع بها الملاح السفينة.

وقال: ((أردت الصعود مرة في بعض القناطر، وشيخ ملاّح جالس، وكان يوم مطر وزلق فزلق حماري فكاد يلقيني لجنبي لكنه تماسك فأقعى على عجزه، فقال الشيخ الملاّح: لا إله إلاّ الله ، ما أحسن ما جلس على كَوْثَله))[1].

وقال: ((مررت بتلّ طين أحمر ومعي ابو الحسن النخاس، فلما نظر الى الطين قال: أيُّ أواريّ تجيء من هذا الطين))[2].

وقال: ((ومررنا بالخلُدْ بعد خرابه، فقال: أي اصطبلات تجيء من هذا الموضع))[3].

ويعد ابن الحجاج (ت ٣٩١هـ) من الشعراء الذين نجد في شعرهم وفرة من الألفاظ التي تمثل لهجة بغداد في القرن الرابع الهجري. قال فك يصف لغة هذا الشاعر: ((يولع باستخدام لغة العامة متنزلا الى لهجات الشحاذين والعيارين والخلديين والمُكَدَّينَ ببغداد)) [4].

---

(١) الكَوْثَل: مؤخر السفينة أو سكانها.

(٢) النخّاس: بائع الدوابّ، والأواريّ : مواضع عَلَفِ الدوابّ ، واحدها: آريّ.

(٣) الخُلْد: قصر بناه المنصور ببغداد . والإصْطَبْلات: مواقف الدوابّ ، واحدها: إصْطَبْل.

(٤) العربية: ١٨٣. والعَيّارُ: الواسع الحِيلة . الخلدي: نسبة الى حيَّ ببغداد اشتهر بكثرة أهل الحِيل على الارتزاق، والمُكَدَّي : الفقير المتجول .

اللهجات الجغرافية:

تختلف اللهجات الجغرافية بين المدن والأقاليم التي تتحدث بلغة عامة واحدة مشتركة، ولكل منها خصائص لغوية معينة غير أنها لا تصل الى ما يمكن أن يؤلف لغة مستقلة عن لغتها الأم، ومن هذا القبيل اللهجات العربية القديمة التي انتشرت في الجزيرة العربية وأطرافها. وأطلق علماء العربية القدامى على ما نسميه لهجة في المصطلح اللغوي الحديث كلمة (لغة) في اكثر المصادر، أو كلمة (لَحْن)[١] في بعض معانيها. ويشيع في اللهجات العربية القديمة[٢]

---

(١) في اللهجات العربية : ١٦.

(٢) فيما يأتي خلاصة لأهم اللهجات المعروفة في المصادر العربية القديمة مستفادة من كتاب أحمد تيمور المعنون ب (لهجات العرب):

١- القُطْعَة لبني طيِّيء : (يا بَلْحكَم) بدل (يا ابا الحَكَم) ، أو (يا ابا الحكا) فيقطع.

٢- العَجْعَجة لقضاعة: إبدال الجيم من الياء، مثل (تميمج) في (تميميّ).

٣-العَنْعَنة لتميم: إبدال العين من الهمزة، في نحو (أنْ) يقولون (عَنْ) =

=٤-الكشكشة لبني سعد أو ربيعة: إبدال الشين من كاف الخطاب ولاسيما كاف خطاب المؤنث: (عليكِ – منكِ – بكِ) ← (عليشِ – منشِ – بشِ) ، أو زيادة شين بعد الكاف المكسورة : (عليكِ – إليكِ – بكِ – منكِ) ← (عليكشْ – إليكشْ – بكِشْ – منكِشْ) في الوقف خاصة .

٥- الكسكسة لتميم أو بكر أو هوازن: قلب كاف المؤنث سيناً: (أبوكِ – أُمُّكِ) ← (أبوسِ – أُمُّسِ) . أو إلحاقهم بكاف المؤنث سيناً عند الوقف لا عند الوصل : أكرمتك ← أكرمتكسْ.

٦-التَّلْتَلة لبهراء : كسر أول حروف المضارعة: تَعْلَم ← تِعْلَم.

٧-الوَكْمُ لناس من بكر بن وائل أو لناس من ربيعة: كسر الكاف المسبوقة بياء أو كسرة: بِكم، والسلام عليكم (بكسر الكاف فيهما).

٨- الوَهْم لبني كلب: كسر الهاء في مثل: منهِم – عنهِم.

٩- الاستنطاء لسعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس: جعل العين الساكنة نوناً: (أعطى) ← (أنطى)

١٠- الوَتْمُ: لغة أهل اليمن: قلب السين تاء، مثل: الناس ← النات.

١١- الطُمْطَمانّية والطْمطَمة: لغة حِمْير، وهي ما يشبه كلام العجم، وقيل: إبدال اللام ميما في مثل: (طاب الهواء) (طاب امهواء) .

١٢- الشَنْشَنة: لغة أهل اليمن: جعل الكاف شينا مطلقا: (لبّيك اللهم لبّيك) (لبّيشَ اللهم لبّيش) .

١٣- اَلَخْلخانّية: نسبت الى أعراب الشَّحْر وعُمَان: العجمة واللكنة في المنطق وعدم الإفصاح. (ما شاء الله) (مَشَا الله) .

١٤-العَجْرفّية: نسبت الى ضبّة : التقعّر والجفاء في الكلام .

١٥-التضحُّع: لقيس: إمالة الحرف الى الكسر.

عدد من الظواهر اللغوية، منها الظواهر الصوتية وهي اكثر شيوعا كتحقيق الهمزة وتسهيلها أي حذفها من الكلام أو قلبها الى حركة طويلة (حرف مَدّ) أو جعلها بين بين بين ، وجعل اللام من أداة التعريف (أل) ميما، وقلب العين نونا في (أعطى)، وقلب الحاء عيناً في (حتى)، والتغير في الأصوات الحنكية، والمماثلة، والشدة والرخاوة، والجهر والهمس، والتوافق الحركي بين (الحركات القصيرة)، والتخفيف من الكسر الى السكون أو من الفتح الى السكون، والمعاقبة بين الحركات القصيرة، والمعاقبة بين الحركات الطويلة.

ومن الظواهر الصرفية: بنية الفعل الثلاثي، والزيادة في بناء الكلمة، والقلب المكاني، والجمع.

ومن الظواهر النحوية: ما يدعى اصطلاحا بلغة (أكلوني البراغيث)، وهي اتفاق الفعل مع فاعله في العدد مثنىً كان أو جمعا.

١٦–الغَمْغَمة : لقضاعة: عدم تبيين الكلام.

١٧–الفراتية: لغة أهل الفرات ويعنون به نهر الكوفة.=

=١٨–الفَحْفَحة: لهذيل: جعل الحاء في حتى عيناً ، ومنها قراءة ابن مسعود (عتّى حين) في (حتى) .

١٩–لغة طيَّيءّ في قلب الياء ألفاً: (لَقِ ِبه يَلْقَاه) ← (لَقَاهُ يَلْقَاه) .

ومن الظواهر الدلالية: ألفاظ اختصت بلهجات عربية دون غيرها، ومعان مخصوصة بلهجات عربية، والفاظ من أصول عربية جنوبية .

وأغفل اللغويون العرب القدامى عن ذكر كثير من اللهجات العربية ظنا منهم بأنها تزاحم العربية الفصحى حتى أن ابن فارس ذكر بعضها كالعنعنة والكشكشة والكسكسة في (باب اللغات المذمومة)[١]، ونقل ابن جني عن ثعلب قوله في لغة قريش التي عدها اللغويون أنموذجا للعربية الفصحى: ((ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنغنة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضجع قيس وعجرفّية ضّبة وتلتلة بهراء))[٢].

وما وصل إلينا من هذه اللهجات في المصادر يعد شيئا قليلاً لا يفي بالغرض غير أنه مفيد في فهم بعض خصائصها وظواهرها. وفيما يأتي إجمال لأهم الخصائص اللهجية القديمة:

١. السرعة في النطق: تميل القبائل البدوية الى سرعة النطق فتسقط بعض الأصوات وتدغم بعضها في بعض[٣]، ويحصل ذلك من غير إخلال بفهم السامع. وأما البيئة الحضرية فتميل الى تحقيق الأصوات والتأني في إخراجها واللباقة في القول وحسن المنطق ومراعاة قواعد

---

(١) الصاحبي :٥٣.

(٢) الخصائص : ١١/٢ .

(٣) انظر: في اللهجات العربية :١٣٢.

الفصاحة، وكانت بيئة الحجاز ولاسيما مكة تتصف بهذه الصفات في الأعم الأغلب.

٢. التأثر بالأصوات المجاورة: شاعت في البيئات البدوية ظاهرة تأثر الأصوات المجاورة بعضها ببعض[١] خلافا للبيئات الحضرية.

٣. التفخيم والترقيق: تتخير البيئة البدوية التفخيم في أداء الأصوات خلافا للبيئة الحضرية التي يشيع فيها ترقيق الأصوات.

٤. مالت القبائل البدوية الى الأصوات الشديدة[٢] لجفائها وخشونة طبعها، ولسرعة مثل هذه الأصوات في الأداء، على حين مال أهل المدن والحواضر الى الأصوات الرخوة لليونتها وانسيابها في الأداء انسجاما مع بيئتهم.

٥. إن الأصوات المجهورة أوضح في السمع وليس هناك من حائل في الصحراء يصد موجات الصوت ولا تتطلب جهداً عضلياً كالذي تتطلبه الأصوات المهموسة في أدائها[٣]، ولذلك كله مالت البيئات البدوية الى الجهر بالأصوات خلافا للبيئات الحضرية التي لا تحتاج الى ذلك تأدباً مع المخاطب.

---

(١) في اللهجات العربية : ١١٥.

(٢) في اللهجات العربية : ١٠٠.

(٣) في اللهجات العربية : ١٠٦.

٦. إن الضم مظهر من مظاهر الخشونة البدوية ولذلك مالت القبائل البدوية إليه خلافا للقبائل المتحضرة التي آثرت الكسر فالضم دليل الخشونة، أما الكسر فدليل التحضر والرقة[١].

٧. وترتبط اللهجات بظواهر لغوية عدها اللغويون العرب القدامى سمة من سمات العربية الفصحى كظاهرة الأضداد، وهي دلالة الكلمة الواحدة على معنيين متضادين.

وتعد اللهجات سبباً يمكن بموجبه تفسير نظائر عديدة من هذه الكلمات. ومن جملة الشواهد على ذلك ما رواه الأصمعي عن ابي زيد، قال: ((السُّدْفَة في لغة تميم الظُلمة، وفي لغة قيس الضوء))[٢]. وقال الأصمعي: ((الساجد المنحني، وفي لغة طيِّيء المنتصب))[٣]. وقال: ((المُقْورُّ في لغة الهلاليين السمين، وفي لغة غيرهم المهزول))[٤].

واختلاف هذه الألفاظ بدلالتها على معنيين متضادين يوجه على أن رواة اللغة الذين هيأوا للمعجم العربي ابتداء من أواخر القرن الأول الهجري والقرون التي تلته حتى القرن الرابع الهجري الذي شهد ظهور معجمات

---

(١) في اللهجات العربية :٩١.

(٢) الاضداد (ضمن ثلاثة كتب) : ٣٥.

(٣) الاضداد (ضمن ثلاثة كتب) : ٤٣.

(٤) الاضداد (ضمن ثلاثة كتب) : ٤٤.

منهجية شاملة كالصحاح للجوهري جمعوا الألفاظ من مختلف القبائل العربية؛ فأخذوا على سبيل المثال كلمة (السدفة) من تميم بمعنى الظلمة، ومن قيس بمعنى الضوء، فتوهم بعد ذلك اللغويون الذين قعّدوا القواعد وأصّلوا الأصول وبخاصة في القرن الرابع الهجري أن من سمات كلام العرب دلالة الكلمة على ضدّين ولم يلتفتوا الى مسألة جمع الرواة لألفاظ المعجم من دون الالتفات الى تأثير اختلاف اللهجات على المضامين الدلالية لها.

الازدواج اللغوي:

يعود تأريخ ظهور العربية الفصيحة الموحدة الى قرنين أو أكثر بقليل قبل ظهور الإسلام، وهي اللغة المنتقاة التي اتخذها الشعراء في نظم قصائدهم والخطباء في إلقاء خطبهم، وهي لغة العرب في منتدياتهم وأسواقهم الأدبية واجتماعاتهم الرسمية –إذا جاز التعبير– كدار الندوة التي كانت تعقد في مكة لبحث الشؤون المهمة والحوادث الخطيرة وسوق عكاظ لإنشاد القصائد وغيرها من الأسواق والمواسم الأدبية، وهي لغة القرآن الكريم التي نزل بها الذكر الحكيم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأما لغة عامة العرب فيما بينهم فقد كانت لهجاتهم التي قد تقترب من الفصحى أو تبتعد عنها بمقدار، ودرجوا على تلك اللهجات في حياتهم اليومية وكلامهم المعتاد؛ فالازدواج اللغوي إذن كان قديما عند العرب

والثنائية اللغوية ربما أدت الى التخفف من بعض الظواهر اللغوية في الفصحى كالتخفف من الإعراب، غير أن لغة الحياة اليومية لم تكن بعيدة عن الفصيحة بعدا يجعلها بيّنة الاختلاف عنها كما حصل بعد ظهور الاسلام وبخاصة في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، فقد نشأت ابتداء من القرن الثاني الهجري لغة يتداولها الناس تخففت من بعض القيود التي فرضتها العربية الفصيحة أطلق عليها مصطلح (المُولَّد).

وعلى الرغم من اختلاف اللغويين في معنى هذا المصطلح وفحواه غير أنه ينصرف على المشهور من أقوالهم الى الألفاظ العربية التي غيرتها العامة؛ فقد نقل السيوطي من أمالي ثعلب أنه سئل عن التغيير، فقال: هو كل شيء مولد، وعقّب السيوطي على هذا الكلام بقوله: ((وهذا ضابط حسن يقتضي أن كل لفظ عربيّ الأصل ثم غيرته العامة بهمز أو تركه أو تسكين أو تحريك أو نحو ذلك، مُوَلّد))[1]. وعرّفَ المولد بأنه ((ما أحدثه المُوَلَّدونَ الذين لا يحتج بألفاظهم، والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح، وهذا بخلافه))[2].

واتسمت هذه العربية المولدة بسمات مخالفة للعربية الفصحى في ((المادة الصوتية وصوغ القوالب وتركيب الجمل والقواعد النحوية والمادة اللغوية

---

(١) المزهر: ١/٣١١.

(٢) المزهر: ١/٣٠٤.

وطرائق التعبير))[1]، واتخذت لغة وسطى بين الفصحى الأصيلة والعامية المبتذلة يتحدث بها المثقفون في العصر العباسي الأول.

ولم تسعفنا المصادر اللغوية بمادة تكفي لتصور هذه اللغة سوى ما ألف في الأغلاط اللغوية، وأما لغة الطبقات الاجتماعية الوسطى والدنيا في بيئة العراق والحجاز وغيرهما من الأمصار العربية فلا نعلم عنها شيئا إلا إشارات عابرة هنا وهناك في المصادر العربية ولاسيما المتقدمة منها كمؤلفات الجاحظ.

وتأثر الأدب العربي نظما ونثراً بالعربية المولدة وظهر ذلك واضحا في شعر شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين وكتاّبهم والمترسّلين، ودخلت لغة العامة على نحو لافت للنظر في التعبير الأدبي ابتداء من عصر هارون الرشيد[2]، وكان شعر (الفرص والمناسبات) الذي شاع على نحو كبير في القرن الرابع الهجري يحمل طابع العربية المولدة أكثر من الشعر الفني الرفيع، وتضمن كتاب (يتمية الدهر) للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ. كثيرا من الشواهد التي نجدها في شعر هذا القرن.

---

(١) فك (يوهان) : العربية: ١٠٢.

(٢) انظر : العربية : ٩٥.

وقد تنّبه اللغويون منذ عهد مبكر في القرن الثاني الهجري الى ظهور العربية المولدة فألفوا كتباً ورسائل تناولت بالأمثلة والشواهد ما وصفوه بالأغلاط اللغوية التي كانت فاشية في لغة الكلام المستعملة في الحياة اليومية ولاسيما لغة الحواضر الإسلامية كالبصرة والكوفة وبغداد.

وسنكتفي ببيان مجمل لهذه الأغلاط من حيث النوع بعد تصنيفها بحسب المستويات اللغوية معتمدين على رسالة (ما تلحن فيه العامة) للكسائي (ت ١٧٩هـ)، وهي تمثل عربية أهل بغداد في القرن الثاني الهجري، وكتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وهو يمثل لهجة أهل بغداد في القرن الثالث الهجري، وكتاب (الفصيح) لثعلب (ت ٢٩١هـ) وهو يمثل لهجة أهل العراق ولاسيما بغداد والبصرة والكوفة في القرن الثالث الهجري أيضا، ويتبعه كتابان أحدهما (التلويح في شرح الفصيح) لأبي سهل محمد بن علي بن محمد الهروي (ت ٤٣٣هـ) والآخر (كتاب ذيل فصيح ثعلب) لموفق الدين أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي النحوي اللغوي (ت ٦٢٩ هـ) .

وأما عربية أهل بغداد في القرن السادس الهجري وما قبله فقد اخترت لها أمثلة من كتاب (تقويم اللسان) لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، الذي اختصر أنواع الأغلاط في قوله: ((واعلم أن غلط العامة يتنوع: فتارة يضمون المكسور، وتارة يكسرون المضموم، وتارة يمدون المقصور، وتارة يقصرون الممدود، وتارة يشدّدون المخفف، وتارة يخففون المشدّد، وتارة يزيدون في الكلمة، وتارة ينقصون منها، وتارة يضعونها في غير موضعها، الى غير ذلك من الأقسام))[١].

---

(١) ابن الجوزي: تقويم اللسان :٥٦.

١. ما طرأ على الأصوات:

قال الكسائي: ((وتقول صُنْدُوق بضم الصاد وزُنْبور وبُهْلول ...وكذلك عُصْفُور وفُرْفُور وقُرْبُوس...وكذلك بُرْغُوث وطُنْبُور وخُرْطُوم وحُلْقُوم))[١].

ويفهم من كلامه أن العامة كانت تتلفظ بهذه الكلمات وأشباهها بفتح الأول.

سكتَ وسكنَ: قال الكسائي: ((وتقول: دَعْهُ حتى يَسْكُتَ من غضبه، بالتاء ولا يقال: يَسْكُن، بالنون))[٢].

نَفِدَ ونَفَدَ: ((ونقول: قد نَفِدَ المالُ والطعامُ، بكسر الفاء))، ويفهم من كلامه أن العامة كانت تتلفظ بالكلمة بفتح الفاء. ونقيضها (عَجَزَ وعَجِزَ)، ((وتقول: عَجَزْتُ عن الشيء بفتح الجيم))[٣].

وقال ابن قتيبة في (باب ما جاء ساكنا والعامة تحركه): ((يقال في أسنانه حَفْرٌ، وهو فساد أصول الأسنان، و(حَفَرٌ) رديئة. ٠ ويقال: أجد في بطني مَغْسَاً ومَغْصاً وأصله للطعن، وهو شَغْب الجند، ولا يقال: شَغَب)).

---

(١) ما تلحن فيه العامة: ١١٠.

(٢) ما تلحن فيه العامة: ١١٠.

(٣) ما تلحن فيه العامة: ١٠٠.

وقال في (باب ما جاء محركاً والعامة تسكنه): ((أتحفتُ تُحَفَةً، وأصابته تُخَمَةٌ، وهي الُّلقَطَة لما يُلْتقط، وتَجَشَّأْتُ جُشَأةً...))[1].

وقال في (باب ما جاء مفتوحا والعامة تكسره): ((هو الكَتّان بفتح الكاف... وأَلْيَة الكَبْش...وفَقَار الظَّهْر...وما له دار ولا عَقار، والعَقار النّخْلُ..)).

وقال في (باب الأفعال التي تهمز والعوامّ تدع همزها) : ((طَأْطأتُ رأسي، وأبطأتُ، واستبطأتُ وتوضّأتُ للصلاة، وهيّأتُ وتهيّأتُ، وهنّأتكَ بالمولود... وتوكّأتُ عليكَ، وترأّستُ على القوم..))[2].

وقال أبو سهل الهروي: ((...تقول عُنِيتُ بحاجتك بضم العين وكسر النون، أُعْنَى بها بفتح النون، وأنابها مَعْنِيٌّ ، أي جعلت لي بها عنايةً في قضائها أي اهتماماً. وقد أُولعِْتُ بالشيء أُولَعُ به، أي اشتدّ حرصي عليه وملازمتي له، وقد بُهِتَ الرجلُ يُبْهَتُ أي تحيّر ودَهِشَ وانقطعت حجته لشيء رآه أو سمعه))[3].

ويفهم من كلامه أن العامة كانت تتلفظ بهذه الأفعال ونظائرها بفتح الأول أي بالبناء للمعلوم.

---

(١) أدب الكاتب: ٣٧٧.

(٢) أدب الكاتب:٣٦٠.

(٣) التلويح في شرح الفصيح : ٩٤.

وقال: (من باب فعلت بفتح العين): ((فَسَدَ الشيء يَفْسُدُ: إذا تغير وانتقل عن الحال حتى لا ينتفع به...وعَثَرْتُ أعْثَرُ: إذا أصابت رِجْلي حَجَراً أو غيره فسقطت أو كدت أسقط .وحَرَصْتُ عليه أحْرَصُ أي اجتهدت وطلبت بنَصَبٍ وشدّة))[1].

وقال موفق الدين البغدادي: ((ومما يطّرد فيه لحنهم [أي العامة] قولهم في اسم الفاعل المعتل العين بغير همز، وهو بالهمز فقط نحو: القائم والقائل و البائع))[2].

وقال: ((ومما جاء ساكناً والعامة تحركه: هي البَكْرةُ للتي يستقى عليها، وحَلْقةُ الحديد والقوم، والحَدْبَة، والإبْط))[3].

وقال: ((ومما يفتح والعامة تكسره أو تضمّه: هو الرَّيْحَان والأمْن والأكّار وبَيْرَمُ النجّار والسَّعَة والدَّعَة))[4].

وقال ابن الجوزي: ((ودُسْتُور: الحساب، بضم الدال، وهو قياس كلام العرب كأُسْلُوب وعُرْقُوب وخُرْطُوم ، والعامة تفتح الدال))[5].

---

(١) التلويح في شرح الفصيح:٤.

(٢) ذيل فصيح ثعلب:٢٣.

(٣) ذيل فصيح ثعلب:٢٩.

(٤) ذيل فصيح ثعلب:٣٢.

(٥) تقويم اللسان: ١٠٥.

٢- ما طرأ على الصيغ:

صرفَ وأصرفَ: قال الكسائي: ((وتقول: قد صرفتُ فلاناً، وقد صرفَ وَجْهَهُ عنّي بغير ألف. ولا يقال: قد أصرفتُ فلاناً))[١].

(ذَرْ) و (دَعْ) ، و(وَذَرَ) و (وَدَعَ) :قال الكسائي: ((تقول: ذَرْه ودَعْه، وذَرَ الأمرَ. ولا يقال: وَذَرْتُه، ولا وَدَعْتُه))[٢].

وقال: ((وتقول: قد أريتُ فلاناً موضع زيد، بغير واو، ولا يقال: أوريتُ فإنه خطأ))[٣].

وقال ابن قتيبة: ((يقولون: رجل أعزبُ، وإنما هو عَزَبٌ، وهي الكُرَة، ولا يقال: أُكْرَة))[٤] .

وقال: (رَعَبْتُ الرجلَ فهو مرعوب، وشَغَلْتُه عنك، وأشغلته رديء))[٥].

وقال: ((ونَعَشه الله ينْعَشُه، وكبّه اللهُ لوَجْهه يَكُبّه، وقد قَلَبتُ الشيءَ وصرفتُ الرجلَ عّما أرادَ، ووقفْتُه على ذنبه... الخ))[٦].

---

(١) ما تلحن فيه العامة: ١٠١.
(٢) ما تلحن فيه العامة: ١٠٥.
(٣) ما تلحن فيه العامة: ١٠٣.
(٤) أدب الكاتب:٣٦٥.
(٥) ادب الكاتب:٣٦٧.
(٦) أدب الكاتب: ٣٦٨.

وقال أبو سهل الهروي: ((تقول: وَجَدْتُ في المال وُجْداً، بضم الواو، و(جِدَةً) أي أصبتُ منه وأيسرتُ، ووَجَدْتُ الضالّةَ وِجْداناً أي ظَفِرْتُ بها بد ضَياعها... ووَجَدْتُ في الحزن وَجْداً بفتح أي اغتممت، ووَجِدْتُ على الرجل مَوْجَدةً بكسر الجيم أي غضبت عليه. وتقول في المستقبل من هذا كله يَجِدُ))[1]. ويفهم من كلامة أن العامة كانت تقول خلاف ذلك في مصادر الفعل (وجد).

وقال: ((نظرت يَمْنَةً وشأْمَةً أي جانب اليمين وجانب الشمال، ولا تقول (شَمْلَة) لأنها تُلْبَسُ بالشَّمْلةِ وهي الكساء الذي يُشْتملُ به أي يُتغطّى به.... والخبر مستفيض في الناس أي منتشر شائع، ولا تقل مستفاض))[2].

وقال: ((وتقول: عندي زوجان من الحَمام تعني ذكراً وأنثى، وكذلك كل اثنين لا يستغني أحدهما عن صاحبه؛ فكل واحد منهما زوج الآخر نحو: الخُفّينِ والنعْلينِ، والرجل زوج المرأة، والمرأة زوج الرجل))[3]. ويفهم من كلامه أن العامة كانت تقول: (زوج) بمعنى (زوجين)، وتقول (زوجة) الرجل بدلاً من (زوج) .

---

(١) التلويح في شرح الفصيح: ٢٩.

(٢) التلويح في شرح الفصيح: ٩٠.

(٣) التلويح في شرح الفصيح: ٩١.

وقال: ((ماءٌ مِلْحٌ، ولا تقل: مالح))[١]، وقال: (رَعَدتِ السماء من الرَّعْد وبرقت من البَرْق: إذا هاج رعْدُها وبَرْقُها))[٢] . ويفهم من كلامه أن العامة كانت تقول: أرعدت وأبرقت. وقال: ((صَرَفْتُ الصبيان أي رددتهم من الكُتّاب الى بيوتهم، وصرفَ اللهُ عنك الأذى: أي أذهبه وردّه عنك. وقَلَبْتُ القوم أي رددتهم الى أوطانهم...وكذلك قَلَبْتُ الثوبَ أي جعلت أسفله أعلاه أو باطنه ظاهره، ووقفتُ الدابّة أقِفها، أي منعتها من السير...ووَقَفْتُ وَقْفاً للمساكين أي تصدّقتُ عليهم بشيء وَمَنْعتُ بَيْعَهُ...كل هذا سواء بغير ألف))[٣].

وقال ابن الجوزي: ((...وتقول: فلان أهلٌ لكذا...والعامة تقول: مستأهل لكذا، وهو غلط، إنما المستأهل: متخذ الإهالة وهي ما يؤتدم به كالسَّمْن والوَدَك...وتقول: هو الأُسْكُفُّ للذي تسميه العامة: الإسكاف))[٤] . وتقول: أفلتَ من كذا، والعامة تقول: انفلت...وتقول: أغلقتُ البابَ فهو مُغْلَق وأقفلته فهو مُقْفَل ... وأغليت الماءَ...الخ، والعامة تسقط الألف منهنّ))[٥].

وقال: ((والبالوعة بألف، والعامة تقول: بَلّوعة))[٦] .

---

(١) التلويح في شرح الفصيح:٩٣ .

(٢) التلويح في شرح الفصيح:١٠ .

(٣) التلويح في شرح الفصيح:١١.

(٤) تقويم اللسان: ٥٩.

(٥) تقويم اللسان: ٦٣.

(٦) تقويم اللسان: ٨٠.

٣-ما طرأ على التركيب:

شكرتُ لك ونصحتُ لك . شكرتك ونصحتك:

قال الكسائي: ((وتقول: شكرتُ لك ونصحتُ لك، ولا يقال: شكرتك ونصحتك. وقد نصح فلان لفلان وشكر له. هذا كلام العرب))[١].

وقال: ((وتقول: سَخِرْتُ من فلان بالميم، ولا تسخر منه. ولا يقال: سَخِرْتُ بفلان بالباء))[٢].

وقال أبو سهل الهروي في (باب ما يقال بحرف الخفض): ((تقول: سَخِرْتُ منه وهَزِئْتُ به، ومعناهما متقاربان أي خدعته واستصغرته))[٣].

وقال: ((وأزريتُ به بالألف إذا قصَّرْت به أي تنقصت به وتهاونت. وجَنّ عليه الليل وأجنّه الليلُ بالألف، ومعناهما واحد، إذا ستره بظلمته...ولَهِيتُ من الشيء وعنه بالياء وكسر الهاء إذا تركته واشتغلت عنه وتركت ذكره))[٤].

---

(١) ما تلحن فيه العامة: ١٠٢.

(٢) ما تلحن فيه العامة: ١٠٨.

(٣) التلويح في شرح الفصيح:٢٦ .

(٤) التلويح في شرح الفصيح:٢٧.

وقال موفق الدين البغدادي: ((وتقول: تْلِكَ المرأةُ وتِيك، ولا تقل: ذِيك.

وتقول: فعلت ذاك من جَرّاك، أي من جريرتك ومن أجلك، ولا يجوز: بَجرّاك))[١].

وقال: ((وتقول: اختصم زيد وعمرو، واجتمع بشر وخالد، وتجادل زيد وعبد الله، لا تدخل في شيء من ذلك (مع)))[٢].

وقال ابن الجوزي: ((وتقول: اشتكى فلانٌ عَيْنَهُ، والعامة تقول: اشتكت عينُه، وهو غلط لأنه هو المشتكي لا العين))[٣].

٤-ما طرأ على الدلالة:

قال ابو سهل الهروي في (باب فعلت وأفعلت باختلاف المعنى): ((ويقال: شَرِقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت وصفت))[٤].

وقال: ((وقد سَفَرت المرأة إذا ألقت خِمارها عن وجهها، والرجل عمامته، أي كشفته، فهي (سافر) بغير هاء. وأسفر وجهها بالألف إذا أضاء، وكذلك أسفر الصبحُ...وخَنَسْتُ عن الرجل إذا تأخرت عنه، وأخنستُ عنه حقّه

---

(١) ذيل فصيح ثعلب:١٨.

(٢) ذيل فصيح ثعلب:٢٣.

(٣) تقويم اللسان: ٦٠.

(٤) التلويح في شرح الفصيح:٢٠ .

بالألف إذا سترته وأخّرته. وأقبستُ الرجلَ عِلْماً بالألف، أي فِدْتُه إياه وعلّمته، وقَبَسْتُ ناراً إذا جئته بقَبَس منها أو أعطيته قَبَساً، وهي شعلة تأخذها من معظمها))[١].

وقال: ((الحَبْر بالفتح: العالم، والحِبْر بالكسر: المِداد. والصَّدْق بالفتح الصُلْب، والصِّدْق بالكسر خلاف الكَذِب))[٢].

وقال: ((والمَسْك بفتح الميم: الجِلْد، والمِسْك بكسرها: الطِّيب...والجِدّ في الأمر مكسور: ضدّ الهَزْل وهو الانكماش وترك التواني فيه، والجَدّ في النسب أبو الأب وأبو الأم، والجَدّ: الحظّ وهو الذي تسميه العامة البَخْت))[٣].

وقال موفق الدين البغدادي: ((قول عوامّ بغداد لساقي الماء (شارب) هو قلب للكلام، إنما المُسْقى الشارب، وصاحب الماء الساقي))[٤].

قال: ((وتقول: نعوذ بك من طوارق الليل وجوارح النهار، ولا تقل من طوارق النهار لأن الطروق في الليل خاصة...وتقول: (السنة) لأي يوم عددته الى مثله فقد تدخل فيه الشتاء ونصف الصيف، وأما (العام) فلا يكون إلا صيفاً وشتاءً))[٥].

---

(١) التلويح في شرح الفصيح:٢١.

(٢) التلويح في شرح الفصيح:٥٥.

(٣) التلويح في شرح الفصيح : ٥٦.

(٤) ذيل فصيح ثعلب: ٦.

(٥) ذيل فصيح ثعلب: ٤.

وقال: ((العرب تقول: فلان يتأثّم ويتحنّث: إذا فعل ما يخرج به من الإثم والحِنْث والعامة تعني بذلك الدخول فيهما))[١].

وقال: ((التوابل والأبزار بمعنىً، والعامة تفرق بينهم))[٢].

وقال ابن الجوزي: ((وتقول لجميع العُشْب وما يُنْبِتُ الربيعُ وما يأكله الناس والبهائم: بَقْلٌ، والعامة تخصّ بذلك النبات المعروف الذي يأكله الناس))[٣]. وهذا من باب التخصيص الدلالي.

وقال: ((لا أُكلّمكَ سائرَ اليوم، أي ما بقي منه، مأخوذ من سُؤْر الإناء وهو بقية ما فيه. والعامة تشير بسائره الى جميعه، وذلك غلط))[٤].

---

(١) ذيل فصيح ثعلب: ٩.

(٢) ذيل فصيح ثعلب: ١٠.

(٣) تقويم اللسان: ٧٩.

(٤) تقويم اللسان: ١٢٢.

المصادر والمراجع

- ابراهيم أنيس:

دلالة الألفاظ مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٧٢

في اللهجات العربية -مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٦٥

-ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن):

تقويم اللسان -تحقيق عبد العزيز مطر- دار المعارف -القاهرة ١٩٧٧.

- ابن فارس (أبو الحسين أحمد):

الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها -تحقيق مصطفى الشويمي (سلسلة المكتبة اللغوية العربية) -مؤسسة أ. بدران بيروت ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.

-ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم):

أدب الكاتب -تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- القاهرة د.ت.

-أحمد تيمور:

لهجات العرب -(المكتبة الثقافية)- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

-الأصمعي والسجستاني وابن السكيت:

ثلاثة كتب في الأضداد تحقيق أوغست هفنر -المطبعة الكاثوليكية- بيروت ١٩١٢

- أولمان (ستيفن):

دور الكلمة في اللغة –ترجمة كمال محمد بشر– المطبعة العثمانية – القاهرة ١٩٧٢

–البغدادي (موفق الدين عبد اللطيف البغدادي النحوي اللغوي):

ذيل فصيح ثعلب –تعليق محمد عبد المنعم خفاجي (طبع ضمن كتاب فصيح ثعلب والشروح التي عليه) – مطبعة التوحيد– القاهرة ١٩٤٩

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):

البيان والتبيين –تحقيق عبد السلام محمد هارون– مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة ١٩٦٠

–رمضان عبد التواب:

المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي مكتبة الخانجي– القاهرة ١٩٨٢

–السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):

المزهر في علوم اللغة وأنواعها– تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين– دار إحياء الكتب العربية– القاهرة ١٣٧٨هـ–١٩٥٨م.

–الصابيء (غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال):

الهفوات النادرة –تحقيق صالح الأشتر– مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق– دمشق ١٣٨٧هـ– ١٩٦٧م.

-علي عبد الواحد وافي:

علم اللغة -دار نهضة مصر- القاهرة ١٩٦٧

-فك (يوهان):

العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب) -ترجمة عبد الحليم النجار- مطبعة دار الكتاب العربي- القاهرة ١٩٥١

-فندريس (ج):

اللغة -ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص - مطبعة لجنة البيان العربي- القاهرة ١٩٥٠

-الكسائي (أبو الحسن علي بن حمزة):

ما تلحن فيه العامة -تحقيق رمضان عبد التواب- مكتبة الخانجي- القاهرة ١٩٨٢

-محمد حسن عبد العزيز:

مدخل الى علم اللغة -دار النمر للطباعة- القاهرة ١٩٨٣

-محمد علي الخولي:

معجم علم اللغة النظري - مكتبة لبنان- بيروت ١٩٨٢

-محمود السعران:

علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) -دار النهضة العربية- بيروت د.ت.

-نخبة من اللغويين العرب:

معجم مصطلحات علم اللغة الحديث مكتبة لبنان- بيروت ١٩٨٣

-هدسن:

علم اللغة الاجتماعي -ترجمة محمود عبد الغني عياد- وزارة الثقافة والإعلام (دار الشؤون الثقافية) -بغداد ١٩٨٧

-الهروي (أبو سهل محمد بن علي):

التلويح في شرح الفصيح تعليق محمد عبد المنعم خفاجي- (طبع ضمن كتاب فصيح ثعلب والشروح التي عليه)- مكتبة التوحيد- القاهرة ١٩٤٩